

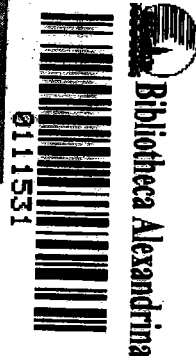


شبح الجنوب

دينو بوتزاتي



ترجمة
د. نجوى عمر كامل



شبح الجنوب

شبح الجنوب

دينو بوتزاتي

—

الطبعة العربية الأولى ١٩٩٩

حقوق النشر محفوظة لدار سندباد للنشر والتوزيع

• • • • •

سندباد للنشر والتوزيع

لوحدة الغلاف : بابلو بكاسو

رقم الأيداع : ٩٩/١٠٩٠٤

I.S.B.N: الترميم الدولي

٩٧٧-٥٩٦٦-٠٠-٠

شبح الجنوب
دينو بوتزاتي
ترجمة
د . نجوى عمر كامل

الهيئة العامة لكتبة الاسكندرية	
رقم التذكرة	٤٥٥٩١١
رقم الشا	٢٩١٦



سندباد للنشر والتوزيع

الصخرة

الصخرة

أخبرني صديق من "صقلية" أنه حدث في جزيرة
 "ليباري" منذ سنوات مضت ، أن تحول رجل عجوز
 إلى صخرة .

لم تكن تلك الصخور البحرية تثير دهشتي من قبل .
 أما القصة التي حكاها لي الصديق للمرة الثالثة أو
 الرابعة ، فكانت هكذا . كان يعيش في القرن الماضي في
 "مُسينا" ، رجل يملك مجموعة صغيرة من قوارب
 الصيد، وله ابن وحيد في ريعان الشباب .. فتن الولد بحب
 البحر ، وغالباً ما كان يخرج مع رحلات الصيد الخاصة
 بأبيه ، الذي كان فخوراً به ، وقلقاً عليه في نفس الوقت .
 ذات ليلة عندما وصل إلى جزيرة "ليباري" ، علي مسافة
 عشرات الأمتار من الشاطئ الغربي ، قامت موجة كبيرة
 وقلبت الفتى حيث لم يعد له أثر .

شبح الجنوب

منذ ذلك اليوم ، والوالد ينتقل كل يوم إلي "ليباري" ،
تدفعه لوثة من الألم . وعندما يكون البحر مواتياً ،
يذهب بقارب صغير إلي المكان الذي لقي فيه الولد حتفه ،
حيث يقيم لعدة ساعات .. ينادي علي ابنه بصوت عالٍ .
ويصطنع معه أحاديث لا تنتهي . مرت بضع سنوات علي
هذه الوتيرة .. أصبح الوالد الأرملة عجوزاً . فقط في الأيام
ذات الجو الصحو كان يستطيع أن يمارس جنونه الشاذ .
حتى انتظروه ذات ليلة بلا أمل في العودة . ذهبوا إلي
المكان ، فلم يجدوا إلا الصخرة خالية .. تهتز صورتها
علي صفحة الماء .

لكن الشئ البالغ في الدهشة ، هو أن الصيادين الذين
كانوا يعرفون هذا الشاطئ أكثر من معرفتهم لبيوتهم ،
لاحظوا أن هذه الصخرة لم تكن موجودة في تلك النقطة من
قبل ، وأن الماء لابد قد انشق عنها . بلغ تفكيرهم إلي أن
الألم المزمّن قد استطاع في النهاية أن يجمّد العجوز .
وأبلغني الصديق أنه منذ ذلك الحين لم يعد يجرؤ أكثر

الصخرة

الشباب إقداماً علي المغامرة بالاقتراب ليلاً من تلك البقعة، واكتفوا بالدوران من بعيد . لكنهم كانوا يسمعون من مواقعهم البعيدة - وخصوصاً في الليالي القمرية- نداءات الأب اليانس ، ونحيبه ، وصياحه ، وأنينه .أما من جهة الجنوب ، فقد اتخذت تلك الصخرة شكل عجوز هزيل . وعند وقت معين في الساعات الأخيرة من الليل ، يفتح الفم ويغلق متحدثاً ، كما تنفتح العيون ليتساقط منها الدمع . لكن ويل لمن يجروء علي اقتحام الحزن المنعزل بنظراته الفضولية . خاطر أحد الصيادين فعلها ، ففقد في عدة أشهر أبناءه الأربعة جميعاً .

كانت الأسطورة - من هذا الوجه - رائعة في غاية الروعة . لكن الناس بدأت تسأل عن معلومات أكثر دقة بغرض التسلية ، وخصوصاً في "ايوليه" . غير أن الأساطير تكتسب سعة وازدهاراً حين تغادر موطنها وتسافر عبر العالم . فإذا جري البحث عنها في موطنها الأصلي، ففي الغالب لا يوجد إلا رؤى ضبابية

شبح الجنوب

متفرقة .

ففي "ليباري" كان بعض الصيادين يعرفون من بين الكثير من الصخور ، الصغيرة والكبيرة ، الناتئة من البحر تلك الصخرة المسماة "السيد العجوز" ، لكنهم لم يكونوا يعرفون المزيد.. لا أحد يعرف القصة الباكيدة للملاح الذي فقد عقله حزناً علي ابنه . فيما عدا رجلاً متقدماً في السن ، ذا وقار ظاهر ، اقترب من أحد المقاهي . ربما كان يبلغ الستين .. وقوراً .. حليق الوجه تماماً.. يرتدي قميصاً ذا أكمام قصيرة نظيفة ، يذكرني بالمثل الذي قام بدور زعيم "مجتمع الشرفاء" في فيلم "زعيم العصابة" "لألبرتو سوردي"

قلت له : " من فضلك .. حضرتك من هنا ، من "ليباري" ؟ " فأجاب ببطء : " نعم ، هو ذاك .. لكنني لا أعيش هنا في الشتاء ، هل يمكنني أن أعرف .. ؟ " " نعم ، كنت أريد أن أسأل حضرتك فقط عن معلومة ، عن شخصية نقول إنها فولكلورية " "تكلم ، تكلم .. "

الصخرة

" أما سمعت حضرتك بقصة رجل من "مسينا" تحول

إلى صخرة منذ سنوات مضت؟"

خرجت كلماته واثقة : " نسمع ، نسمع من الصغار

غرائب كثيرة .. "

وهنا افتعل إبتسامة بين الدبلوماسية والريبة. وقال:

" لكن السنوات تمر .. السنوات تمر .. "

" ألا تعرف حضرتك ماذا كان يدعى ، ومتي حدثت

هذه الواقعة ؟ "

" الواقعة ، لو صدق أنها حدثت ، فقد كانت في سنة

1870 تقريباً ، لكن يمكن أيضاً أن تكون قبل ذلك ، أو

لم تحدث مطلقاً .. "

" لماذا؟ ألا تعتقد في صدقها ؟ "

" أرجوك لا تجعلني أقول أشياء أنا لا .. "

ونظر إلى الساعة في يده وقال : لقد تأخرت معذرة .. "

ونهض ، وحياء جميع رواد المقهى باحترام. في اليوم

التالي ، سألت شابين عن رصيف الميناء ، حيث استطعت

شيخ الجنوب

أن أحصل علي قارب له شرفة خارجية لأقوم بجولة في الجزيرة . البحر راقد في سكون .. لاهركة للأمواج ، لم يكن الأمر ليحتاج إلي سفينة كبيرة لمثل هذه المهمة .

تفرق الأولاد بعيدا ، وبعد أقل من خمس دقائق عادوا وتحلقوا حول صاحب قارب لم يحدث أن رأيته من قبل .

كان طويل القامة .. شديد الهزال .. بالغ الشحوب .. يمكنك أن تعطيه تسعين سنة ، تجعيدة وجهه تنطق بذلك .. وقبعته من القش ، ذات الطية العريضة يذكر بوجوه الاستوائيين التعماء تحت الشمس . الذين يتألقون علي صفحات "كونراد" . وأشد ما فيه تأثيرا هو "شروده" الخيالي الذي يجعله لا يدري ماذا يدور حوله.

لاحظت أن ذراعيه المهزولتين تنتهيان بيدين ملتئمتين بالحفر المرضية ، تتحركان بصعوبة بالغة ، تكشف عن معاناة طويلة لمرض تخلخل المفاصل . خطواته أيضا كانت متعبة ومرتعشة بعض الشيء لو لم يكن البحر مشجعا ،

ماقبلت أبدا رفيفا كهذا قد يسبب المشاكل

. سألته للمرة الأولى : " هل تعرف صخرة السيد العجوز ؟ " خفض رأسه قليلا ربما علامة علي الموافقة ، وبدون أن ينظر إلى أشار في بؤس رصين مستتر عن طريق قطعة من الدبارة إنها علي بعد عدة أمتار من هنا . لكي نصعد إلي هناك قام بقفزة صغيرة ، انثني لها بجسده كله ، مما سبب له ألما حادا . تابعته .. ذلك العجوز المسمى "كريشينو" بسهولة غير متوقعة ، قام بتركيب محرك صغير في حجم آلة التصوير . ورحلنا معا ، في غممة رتيبة .

كنت أجلس في الأمام .. ساكنا ، ويدي علي حاجز الشرفة .. نظر إلي وجهي ، لكنه لم يكن يراني ، أو كان هذا علي الأقل هو انطباعي الكريه .

اجتزنا المرفأ ، واتجه القارب إلي الممر بين "ليباري" و "فولكانو" علي حدود البلد تحولت الطبيعة فجأة إلي حالة متوحشة ، الشواطئ تميل إلي الانحدار غير العادي ، متخذة أشكالا غريبة وقاسية ووعرة . كم تختلف

شبح الجنوب

تضاريس "ايولية" عن هذه التضاريس
 المهيبة الرومانسية ذات الطابع الإنساني في "كوستييرا"
 علي ساحل "أمالفي" مثلاً أو التي في "اسكيا" أو في
 "كابري". هنا أيضاً حوائط صخرية ، ومرتفعات
 ومنخفضات . لكنها تشبه واقع رحلة خيالية ؛ مشاهد
 مسرحية عميقة "لفيردي". أغوار وتلال يكللها اللون
 الأخضر .. خشنة وعذبة في آن واحد . تناسب أدوار
 الحب. بينما في الأسفل تلتوي الأسوار والصخور ، عارية
 وملتهبة ، في وضع قلق واحتجاج ، متذكرة دائماً ذلك
 الجحيم الذي يحيطها من أسفل بناره

كثير من النحاتين اليوم يحسنون صنعاً حينما يغزون
 إلهامهم الرقيق بملامستهم ساحل "ايولية". حيث
 شكلت الطبيعة أعداداً هائلة مبتكرة من أشكال الوحوش..
 عناكب عملاقة مستديرة .. أعضاء كلاب ضخمة ومشوهة..
 عرائس البحر ملتوية الأشكال .. أطلال منهارة.. وجوه
 ممزقة .. هياكل محترقة .. صواعق جرانيتية .. جروح

الصخرة

غائرة متقيحة .

أقزام وغيلان في العذاب .. قلاع مزيفة .. كاندراثيات
غير مقدسة . وهكذا يخلق كل واحد من أضيق الفراغات
الغائرة المنعزلة ، وفي كل زاوية باطنة مثله الأعلى في
الجمال ، أعني ذلك الغموض .

سألت "كريشينو" : " أتلك هي صخرة السيد
العجوز؟ " عندما كنا في منتصف المسافة تقريباً بعيداً عن
الشاطئ الغربي للجزيرة . كنت قد عرفت في الحال .
تحول لينظر ثم أشار لي بالموافقة .

لم تكن الصخرة تعلو عن خمسة عشر متراً ، متحاملة
علي سور درامي ، بواسطته يمكن تجنب الصخرة بسهولة
. كان الشكل دائرياً ، دون نتوءات أو خدوش . أما في
اتجاه الجنوب ، حيث كنا نقرب ، كانت هناك حفرة
رقيقة مرهقة حولها نتوءات صفراء وبنفسجية ، تنعقد
في الأسفل كشمع علي وشك الانصهار . حين تسطح عليه
الشمس تشكل الظلال ببطة وجهاً آدمياً .. وجه طاغية

شبح الجنوب

مكفهر تحلل بفعل الموت . من التجويفين المتوهمين كانت
تنحدر ما يشبه القطرات المتساقطة ذات اللون الأرجواني .
وعلي قاعدة الصخرة .. هناك حيث شكلت الأمواج الرقيقة
بارتظامها شريطاً ضئيلاً من الزبد ، صنع لنفسه حفرة
صغيرة . عند الاقتراب أكثر ، ومع السكون التام للبحر ،
يسمع هناك بالداخل ، في الثقب الأسود ، فوران الموج ،
الذي كان يعطي صوت النحيب .

رجوت "كريشينو" أن يطفى المحرك . بعد عناء
ثبت المجدفين في القاعدة ، حتى لا يغير القارب
اتجاهه.

الآن .. في الصمت العميق .. تحت الشمس الساطعة ..
كانت شهقات الماء في الثقب تنطق بألم أكبر ، ويعمق
أكثر.

سألت : " هل هذه حقاً رجل عجوز من "مسينا"
تحول إلي حجر ؟ "

غمغم بصوت مبحوح : " يقولون ، يقولون "

الصخرة

" هل صحيح أنه ينادي ابنه الميت ليلاً ، ويتحدث

إليه ؟ "

أجاب : " يقولون ، يقولون "

" هل صحيح أن المجيء إلي هنا ليلاً ينذر بمصيبة ؟ "

نظر إلي بوجه خالٍ من التعبير ، كما لو كان لا يفهم .

تحت توتر القبعة بدا الوجه الذي بلا عمر ككائنات

بحرية ميتة ، ثم قال :

" أنا أيضاً .. أنا أيضاً من حجر .. منذ خمسة وعشرين

عاماً "

وثبتت علي بصره ، ورأسه يتأرجح ببطء .

" أنت أيضاً ، ابن .. ؟ "

أشار إشارته الخيالية بالموافقة . وقال : " جوفاني ..

كان يدعي جوفاني .. مساعد رئيس السفينة "مارينا

ماتابان " . "

البيع

البيع

سمع المهندس " روبرتو باودي " مساعد مدير شركة
" كومبراكس " ومستشار إدارة التنظيم طفلة " استر " تقول
لأخيها " فرانكو " كي تهدى ثورته :

" إذا لم تصبح ولدًا هادئًا ، فإن " البيع " سيأتيك
الليلة. " فاستشاط الأب غضبًا ، وأنب الصبية ، واصطحب
الولد إلى الفراش بعد أن هدأ .

لم يعد يحتمل أن تظل مثل هذه الخرافات البلهاء هي
أسلوب تأديب الصغار ، والتي من شأنها أن تخلق عقدًا مؤلمة
في نفوسهم الصغيرة .

في نفس الليلة .. جاء " البيع " .. جاء بخفة وسط الهواء
كعادته .. جاء إلى حجرة المهندس " باودي " حيث ينام
بمفرده .. خلق له بضع دقائق من الإثارة .

" البيع " - كما نعرف - يتشكل بأشكال تختلف

شبح الجنوب

باختلاف البلاد والعادات والأعراف المحلية. ومنذ أزمان بعيدة قد اتخذ في تلك المدينة شكل حيوان ضخيم يميل لونه إلي السواد ، شكله بين فرس النهر والخنزير . للوهلة الولي يثير الرعب . لكن عند ملاحظته بنظرة موضوعية فاحصة ، تركز علي طية الفم الوديعة ، والبريق العطوف في العينين الصغيرتين بالنسبة إلي جسمه ، شكله هذا قد يعطي انطباعاً بأي شئ آخر إلا الشر .

كان يدرك أنه يثير انزعاجاً ، بل وخوفاً أيضاً ، إذا أقبل في ظروف خطر حقيقي . لذلك كانت عاداته أن ينفذ هجومه بذلكاء .. يقترب من فراش الطفل المؤنّب ، ولا يوقظه ، بل يقلص نفسه لكي يخترق أحلامه عند أي نقطة توقفت فيها .. نعم ، هذه هي الإشارة الأزلية . فهو يعرف جيداً أنه حتي أحلام الصغار فيها متسع لاستقبال الوحوش الضخمة من أمثاله.

عندما تمثل "البيع" للمهندس " باودي" لم يكن - بطبيعة الحال - ذا وجه بالغ الطيبة ، بل اتخذ ملامح

البيع _____

شخصية يعرفها ، هي شخصية الأستاذ "جالوريو" الذي
عُيِّن منذ شهرين مندوباً خارجياً لشركة "كومبراكس" ،
رجل شديد الصرامة ، فظ في معاملاته اختاره الوحش ليحل في
صورته .

استيقظ "باودي" غارقاً في عرق جليدي ، استغرق وقتاً
حتى يبصر الزائر الذي انسل من خلال الجدار . فلم تكن
النافذة لتكفي جسمه كله .

في صباح اليوم التالي ، أحجم عن الاعتذار "لاستر"
المسكينة فقد تأكد بنفسه من وجود "البيع" حقيقة . ولكن
هذا التأكد زاد من غضبه ، ومن تصميمه الحازم علي بذل ما في
وسعه لاقتلاع هذا النموذج من البيئة .

في الأيام التالية بدت نبرات السخرية وكأنها طبيعية ،
حيث استسلم المهندس "باودي" وزوجته والأصدقاء
والمشاركون للأمر الواقع . وظلت الحيرة في استعاب حقيقة
وجود "البيع" . مع أنه مثل أي ظاهرة طبيعية .. كالطر ،
والزلازل ، وقوس قزح .

شبح الجنوب

وحده الدكتور "جيمونيو" صاحب المكتب القانوني ، بدا وكأنه صدم ، نعم كان يسمع في زمن الطفولة أحاديث شائعة عن مثل هذا الشيء ، لكنه اقتنع بعد ذلك بسخافة عقله الساذج . وكما لو كان "البيع" قد خمنَّ عداء الناس له ، فقد اعتاد زيارة المهندس "باودي" منذ ذلك الحين ، ودائماً بقناع الأستاذ "جالوريو" الكريه ، ساخراً منه ، يهز السرير ، يسحب علي قدميه ، حتي وصل به الأمر ذات ليلة أن جعله ينبطح علي وجهه حتى كاد يختنق .

في مجلس العموم التالي لم يكن هناك شئ بارز ، حيث إن "باودي" لم يتكلم مع أي زميل عن قصة البيع ، فهل يمكن أن يكون حادث كهذا -لا يليق إلا بالعصور الوسطي - مادة للفخر أو للحديث في مدينة كبيرة كهذه المدينة ؟ أليس الوضع -في نهاية الأمر - تعوزه البراهين القاطعة ؟

غير أنهم كانوا يتحدثون بصفة عابرة ، في تبادل للآراء ، أصبح المهندس "باودي" يتكلم بحرية . لم يمر شهران حتى وصلت المشكلة إلي مجلس العموم ، حقاً لم يرد ذكرها في

البيع

محضر الجلسة - تفادياً للضحك - لكن التعليق الخامس أشار إليها سريعاً بقوله : " حادث مؤسف أزعج ليلة هادئة في المدينة " .

علي العكس مما توقع " باودي " لم يؤخذ الموضوع علي محمل الجد من الجميع فحسب ، بل إن بحثه التوضيحي قد قوبل باعتراضات حيوية أيضاً . ارتفعت أصوات للدفاع بحجة أن الوحش الأسطوري مجرد مظهر فني تقليدي مسالم ، ضاع في ظلام الزمن ، يخلو من الأذي . وسط صمت الجميع . مؤكدين على الفوائد التربوية لزياراته الليلية . كان هناك من تحدث مباشرة عن محاولة اغتيال التراث الثقافي للمدينة في حالة اللجوء الى وسائل قمعية ، وقوبل الخطيب بعاصفة من التصفيق .

على الجانب الآخر تغلبت المعارضة القوية وحجتها ما سموه بالتقدم لتدمير آخر حصون الأسرار . اتهم " البيع " بأنه يترك انطباعاتاً مرضية في نفوس الأطفال ، بفعل ما يسببه من كوابيس تتناقض مع أسس التربية الصحيحة ،

شبح الجنوب

حقاً إن الوحش الليلي لم يلوث المدينة ، ولا كان ينثر مخلفات من أي نوع ، لكن من يضمن أنه ليس ناقلاً للجراثيم والفيروسات و"الميكروبات" ؟ كما أن اعتقاده السياسي مجهول ، كيف نستبعد أن إحياءاته البسيطة - بظهور كهذا- إن لم تكن خسنة ، فإنها ربما تخفي مكائد تخريبية ؟ انتهت المناقشة في الثانية بعد منتصف الليل . ووفق علي اقتراح "باودي" بأغلبية ضعيفة تقدر بخمسة أصوات . وعُيِّنَت لجنة مناسبة من الخبراء كان هو نفسه رئيساً لها ، لتنفيذ الاقتراح عملياً .

كان اقتراح طرد "البعبع" قائماً ، أما الفكرة الأخرى فهي التخلص منه نهائياً . والأسلوب الذي يتبعه "البعبع" حتى الآن لا يمكن التعويل عليه ، فقد يتغير . كذلك هناك شك في مستوي فهمه للغة . وقطعاً لا يمكن التفكير في القبض عليه وإيداعه حديقة الحيوان المحلية ؛ إذ أي قفص يمكنه التحفظ علي حيوان قادر علي الطيران واختراق الحواجز ؟ كذلك استبعدت فكرة السم حيث إنه لم يضبط مطلقاً فى حالة

البيع

أكل أو شرب . إذن .. هي القنبلة.. قنبلة صغيرة من النابالم ،
ولكن المخاطرة غير مأمونة العواقب بالنسبة للمواطنين .
الحل إذن يمثل مشكلة عويصة ، هذا إن لم يكن
مستحيلاً.

كاد "باودي" يشعر بتسرب الرغبة في النجاح من يده ،
عندما تراءى له خاطر : صحيح أن البناء العضوي والتركيب
الكيميائي للبيوع مجهولان ، ولكن أليس هذا هو الحال
بالنسبة للكثير من المخلوقات التي يحفل بها سجل الأساطير؟
أليس من الممكن أن تكون في غاية الضعف ، تجرح بأبسط مما
نتصور ؟ من يدري ، ربما تكفي قذيفة بسيطة تصوب إلي
الهدف الدقيق وينتهي الأمر .

بعد تداول الأمر في مجلس العموم ، رفضت قوات الأمن
العام أن تقدم تعاونها . والذي تقدم هو مؤسسة تملك فرقة
عسكرية صغيرة خاصة غير نظامية ، مجهزة بوسائل اتصال
لاسلكية سريعة. الأمر كان سهلاً ، والغريب فيه هو امتناع
مؤكد من جانب ضباط الشرطة والنواب عن المشاركة في

شبح الجنوب

الضربة، فهل كان خوفاً؟ هل هو الخوف الغامض من اقتحام غرفة محرمة؟ أم هو ببساطة ارتباط الحنين إلى ذكريات الطفولة المضطربة؟

تمت المقابلة في ليلة باردة مقمرة . لمحت الفرقة الكامنة في ركن مظلم من ميدان "500" ، المخلوق الذي يحلق متسكعاً في سلام علي ارتفاع ثلاثين متراً تقريباً ، أشبه ببالون نزق . تقدم النواب بالمدافع المصوبة .. احتبست الأنفاس .. تتابع صوت الطلقات النارية القصيرة ، واحدة في إثر الأخرى، كأنها آتية من مكان بعيد جداً . كان مشهداً منفراً . البعيع يدور عالياً ببطء ، ومخالبه في الهواء ، ودون أن يقفز ظل ينحدر حتى استقر علي الجليد ، رقد مستلقياً علي ظهره، بلا حراك إلي الأبد . كان ضوء القمر ينعكس علي البطن الضخم المشدود اللامع .

قال المصوب "أونفريو كوتافاني" : " شئ لا أحب أن أراه مرة ثانية . "

بقعة من الدم بدأت تتسع ، شئ لا يصدق أن

البيع

يرقد هكذا .. ضحية سوداء تحت ضوء القمر .
علي الفور اتصلوا برجال البلدية لإخلاء المكان من الجثة
البائسة . لكنهم لم يصلوا في الموعد . في خلال تلك الدقائق بدأ
الشئ العملاق يتقلص بشكل ملحوظ . كما يحدث لبالونه
كبيرة مثقوبة ، وتحول إلي كائن هزيل حقير .. دودة كبيرة
سوداء فوق بياض الثلج ، ثم ما لبثت الدودة أيضاً أن اختفت..
تحللت إلي لا شئ ظلت فقط بقعة الدم المزعجة . حتى جاءت
سيارات النظافة قبل الفجر فأزالتها .

شاعت أقاويل أنه بينما كان ذلك المخلوق يموت ، تلاً في
السماء لا قمر واحد وإنما قمران .. ويحكى أن جميع عصفير
المدينة وكلابها انتحبت طويلاً .. تناثرت شائعات أن نساء
كثيرات ، عجائز وأطفالاً ، استيقظن مرة أخرى علي نداء
غامض ، لكن ذلك كله لم يثبت بالدليل القاطع .

الواقع أن القمر تابع رحلته الفلكية المقررة دون توقف
والساعات مرت منتظمة واحدة بعد واحدة ، وكل أطفال
العالم واصلت نومها في سلام ، دون تخيل أن العدو

شبح الجنوب

الصديق السخيف سيأتي من خلال النوم إلى الأبد .
كان الوضع أكثر هدوءاً وسلاماً مما كان متوقعاً . انتهى
ذلك الحدث التافه الذي يسمى علي المستوى الشعبي أسطورة
أو وهماً .

اهربي .. اهربي بسرعة أيتها البقية الباقية من الخيال .
فإني أطمع ألا تغتشي .. العالم المتحضر يتتبع أثركِ مطارداً ..
أبدأ لن يدَعَكَ في سلام

حوادث الطرق

حوادث الطرق

" قل لي يا أستاذ ، هناك خلف البوابة .. هل يوجد

شئ ؟ "

" هناك خلف البوابة يوجد شئ ما ، الأفضل ألا

تعرفه . "

" وخلف الزاوية ، ماذا يوجد ؟ "

" خلف الركن توجد أشياء سيئة ، متراصة ، الواحد

تلو الآخر ، تنتظر أي انسان يمر . من منكم إذن يريد

المرور ؟ "

بعد السور يوجد الطريق السريع ، حصى وتراب ، تراب

وحصى . أوقار وأسفلت أيضاً ، وكل إشارات

المرور المرسومة . وعلي الجانبين اللافتات التي

تقول للمارة .. مرت عشرون متراً ، ثم عشرون

أخرى ، تراب وحصى وأسفلت أحرقتة الشمس .. لا ينتهي

أبداً ، الطريق يصعد ، يعبر جبلاً وغابات ، نراها

شبح الجنوب

تختفي بعيداً أسفل منا . تري إلي أين يذهب بكم ؟
 ”نعم ، نعم ، يا أستاذ .. احك لنا قصص الطريق السريع ،
 من يدري عدد اللاتي شاهدنه ، من يدري عدد الذين
 ساروا علي التراب . والحصى ، والأسفلت ، وراحوا مع
 الأسف ضحايا السرعة الفائقة من أجل الوصول .. إلي أين؟
 أين احك لنا القصص . “

” سأحكي لكم يا أولاد قصة العبور المشؤم .. علي بعد
 ستمائة كيلو متر أرادت إحدى عربات الكارو أن تعبر ،
 بينما وصلت من الجانب الآخر سيارة نقل . ماذا اتفق
 بالضبط ؟ لا أحد يعرف .. كانوا خمسة في سيارة خاصة .
 يبدو أن أعمارهم تتراوح بين الثلاثين والأربعين يقال إنه
 كان فيهم شقراء فاتقة الجمال ، ذات شعر طويل يغطي
 كتفيها . ما حدث أن ركاب السيارة الخاصة فوجئوا
 بسيارة النقل ، لكنهم في آخر لحظة انحرفوا بسرعة جهة
 اليمين ، فاصطدم ” الاكصدام “ الجانبي بعجلة الكارو ،
 فأخذوا في التقهقر سريعاً سريعاً .. شئ أفضل من لا شئ ..

حوادث الطرق

لكنكم تعرفون كم هي خفيفة تلك السيارات الملاكى .. وربما كان الأسفلت أيضاً مبللاً .. المهم أن أصحاب السيارة بدأوا يفقدون القدرة على السيطرة عليها ، فاختلت يميناً ويساراً ، لا يستطيعون التقدم لأن سيارة النقل كانت تمر ، ولم تكن هناك سيارات أخرى تعبر ، فالطريق كانت خالية تماماً .

هل اختلت عجلة القيادة ؟ هل توقفوا ؟ من يعرف ؟ بدأت السيارة في التوقف - من غير أعطال - عندما عبرت حفرة ، ثم صادفت نتوءاً انحرفت ، وانقلبت علي جنبها . لكن ببطء وبغير اهتزازات خطيرة ، لدرجة أن أحداً من الركاب لم يُصَبَّ بإصابات كبيرة . لكن هذه الأحداث لم تكن أبداً هي النهاية . لا بد أنه حدث شئ ما من جرّاء السقطة ، لأن خزان الوقود انفجر ، وأصبحت السيارة كلها شعلة من النار . أخذ الأفراد الخمسة يصرخون من داخل السيارة ، ويحاولون أن يفتحوا الباب ، لكنه كان قد انغلق بقوة . وصل راكبو الكارو . وجاء السائقون من السيارة النقل ، وسائقون آخرون غيرهم .

شبح الجنوب

كان الوقت شتاء ، والضباب يحجب الرؤية . لكن من يجرو
أن يقترب من النيران ؟ حاول أحد السائقين مرتين ، بعد أن
غطى وجهه بغطاء لكنه لم ينجح لأن النيران أحرقت يديه .
الخمسـة بالداخل أحياء .. شباب معافون .. أحياء .. أصابهم
الجنون لفكرة أنهم يموتون ببلاهة هكذا كفئران .. يصرخون :
" النجدة ، النجدة ! تعالوا لتفتحوا لنا ! سريعاً ، سريعاً
اسحبونا للخارج ! " حاول الركاب والسائقون ، لكن مجرد
الاقتراب كان مستحيلاً . شوهدت ملابس الخمسة وقد
أصبحت سوداء ، شوهد شعر الشقراء يحترق مثل القش ..
يصرخون : " افتحوا لنا يا جبئاء ! يا ملاعين ، يا ملاعين لا
تتركونا نموت هكذا ! "

عرفت واحداً من أولئك السائقين ، قال لي أنه خاض
حروباً ثلاث ، ومـر بكل المـروعات ، لكنه لم يـرَ أبداً شيئاً
أكثر رعباً من تلك السيارة ، وبداخلها خمسـة شباب
يتقلبون في الموت لاعنين الدنيا . كانوا يصرخون ، وخصوصاً
المرأة : " أقذار ، ملاعين ، أغبياء "

حوادث الطرق

”فلتموتوا بالسرطان ، الموت لأبنائكم . “ ثم اختلطت اصواتهم حتى أصبحت عواء فقط ، ثم تحولت إلي حشرات.. ثم توقفت كلها ثوانٍ ، حتى احترقت العظام.. من كان يعرفهم قبل ذلك لا يمكن الآن أن يتعرفهم . لكن ذلك السائق قال لي في النهاية – والسيارة لا تزال مقلوبة في النيران – رأي حوالي ستة أو سبعة نماذج سوداء قادمة من الزراعة ، خفيفة الحركة .. ذات ذيول طويلة . حسناً ، مرت هذه النماذج عبر النيران ، وسحبوا شيئاً من الأشخاص – الذين تحولوا حقيقة إلي أشباح – قال السائق إن هذا الشيء الذي سحبه هو الأرواح.. وتلك النماذج السوداء هي الشياطين التي حملت الأرواح نازلة إلي جهنم .. لكن من يدري أن كانت هذه الجزئية الأخيرة حقيقية أم لا . “

” أستاذ .. جميل جداً أن نستمع إليك تحكي حكايات الشارع الكبير . احكِ لنا منها قصة أخرى. “

” حسناً ، سأحكي لكم إذن قصة الشباب . حدث في

شبح الجنوب

أمريكا .. في ليلة من شهر مايو ، بل مايو الماضي ..
 خمسة من الطلبة ، ثلاثة أولاد وبنتان . "دانييلو" علي
 عجلة القيادة ، أما الباقيون فلا أعرف أسماءهم . كان
 "دانييلو" هذا ابناً لأحد رجال الصناعة الأثرياء ،
 وسيماً .. في غاية الجمال .. دائماً الأول علي فصله .. في
 الرياضة كان الفائز في كل المباريات .. باختصار كان مثالياً
 في كل شئ ، لذلك كان الأولاد الآخرون يكرهونه .
 ذلك المساء كانوا يسرعون بالسيارة لا دافع لهم ، إلا لهو
 الشباب . كانت البنتان من النوع المتسلط ، تقرران كل شئ ،
 عند نقطة معينة قالت إحدهما "لدانييلو" : " اسمع يا كوزو ،
 هل تستطيع أن تعبر أمام السيارات التي تأتي في مواجهتنا من
 الجانب الآخر ، ثم تتجنبها في آخر لحظة ؟ نحن نسميها
 لعبة الحمامة ، فالحمام في الشارع يبدو أنه مستقر علي
 الأرض ، بينما يقلع بالطيران في آخر دقيقة . هل تستطيع يا
 كوزو ؟ " أجاب الولد " اسمي ليس كوزو ، ثم بخصوص تلك
 اللعبة التي ذكرتها ، فأنا أستطيع أن أقوم بها جيداً ولكن في

حالة عدم وجود سيارة مقابلة ، لأنك إن كنت تعرفين ماذا تفعلين فإنك لا تعرفين ماذا يدور في عقل ذلك الآخر الذي ظهر أمامك - وفي آخر لحظة مع الأسف ، فماذا لو تنحي هو الآخر علي نفس الجانب .. حينئذ تحدث الكارثة . "

قال أحد الأولاد : " إذا كان الإنسان قادراً علي فعل الشيء لكن تعوزه الثقة بالنفس ، فكأنه عاجز " وقال الآخر : " مؤكد فالأمر يحتاج إلي قليل من شجاعة القلب. بدأوا يتكهمون علي الولد ، ويستفزونه حتى فقد البصر ، وقال : " حسناً انتبهوا لي جيداً يا أولاد واسمعوا . هل ترون الأنوار التي تتلألأ أمامنا .. الفانوسيين الأزرقين ، لسيارة "كونتينتال" أحدث موديل ، أليست متينة الصنع ؟ الآن سأذهب بكم في مواجهتها ، وعندما أكون في وجهها تماماً.. أصغوا لي جيداً .. لن أتنحي جانباً قيد أنملة ، وإنما سأواصل بأقصى سرعة ، وَلَنَرَّ ما سيحدث .. ما رأيكم ألم أطور بالفكرة ؟ " أجابت إحدى الفتيات : " أنت يا كوزو أكبر كذاب .. يووه ، يووه أنت تضحكني بسهولة ،

شيخ الجنوب

أبدأ ، أبدأ لن تستطيع شيئاً مثل هذا. " " أوه .. لا " علي أي حال ، بتلك السرعة اقتربت السيارة ذات الفوانيس الزرقاء ، لم يعد يفصلهم عنها سوى مائتين أو ثلاثمائة متر . رد "دانييلو" الجميل : " أوه .. لا ؟ " فقط في اللحظة الأخيرة ، والأخيرة جداً فهم الرفاق الأربعة بشاعة المزحة ، وانطلقوا يصرخون .. في السيارة ذات النور الأزرق ثلاثة أموات ؛ وفي سيارة الطلبة لم يَنْجُ إلا واحد : ذلك الذي حكى القصة فيما بعد . " " أوه رائع يا أستاذ أن نصفي إليك وأنت تحكي هذه القصص الجميلة عن الشارع الكبير . مازال الوقت مبكراً ، لماذا لا تحكي لنا قصة أخرى منها ؟ "

" حسناً ، إذن سأحكي لكم تلك القصة عن حب الأم .

كان هناك – أو الأفضل أن نقول : كانت ولا تزال هناك أم عجوز ، أنفقت فوق عشرين عاماً في انتظار الابن حتى يعود من روسيا . كان قد اختفي في أثناء الانسحاب الكبير ، قيل إنهم أخذوه أسيراً ، لكن لم يتأكد شئ من هذا . لكنكم تعلمون قدر الأمل عند الأم . كم هو عميق

_____ حوادث الطرق

وضخم لايدانيه شئ . حسناً ، بعد عشرين عاماً من الانتظار .. قضتها السيدة العجوز مطلة من نافذتها علي الشارع الكبير ، حيث إنها تسكن في إحدى الضواحي المطلة علي ذلك الشارع من جهة الشمال .. كانت تظل طيلة يومها في النافذة تراقب السيارات والشاحنات الآتية من الشمال ، عسى أن يكون ابنها علي واحدة منها . ومع كل سيارة تلوح في الأفق وتقرب ، يبدأ قلبها يخفق ، وحيث إن عملية مرور السيارات كانت مستمرة ، فإن قلبها لم يكف عن الوجيب .. لا تستريح دقيقة ، كل ثواني حياتها ترتعش ، لكنها – من جهة أخرى – هي الرابطة الوحيدة التي تربطها بالحياة.

تحت بيتها مباشرة – الذي كان مكوناً من عشرة طوابق – يوجد مفترق طرق سيئ السمعة بسبب حوادث التصادم المزعجة التي تحدث فيه . إما للفوضى المرورية ، أو لعدم كفاءة السيمافورات ، أو أن الأمر يتعلق بلعنة سحرية أصابت ذلك المفترق ، لا ينجو منها شرطي ولا ضابط مرور ، ولا يكاد

شبح الجنوب

يمر يوم دون صدامات فظيعة .

كانت السيدة العجوز في نافذتها تنظر ، ماذا لو كان ابنها العائد من روسيا في إحدى هاتين السيارتين ؟ أسرع إلي الشارع ، وقد غاص قلبها في صدرها ، جرت لتري من الذي مات ، ومن الذي جرح . أي راحة نفسية غمرتها ! أي حظ سعيد ! رسمت علامة الصليب ، نظرت حولها وقد أشرق وجهها .. " الحمد لله كم هو رحيم . "

فقط في تلك اللحظات تشعر بالسعادة . فبشبه معجزة نجا ابنها مرة أخرى . وبطبيعة الحال كان الجميع يعتقدون أنها مجنونة . "

" شكراً يا أستاذ ، هذه قصة جميلة أيضاً فما زال في الوقت متسع فلتحك لنا قصة أخرى قصيرة عن الشارع الكبير . "

"حسناً يا أولاد سأحكي لكم إذن قصة الذئاب .. كان هناك غابة كثيفة ، بجوار الشارع الكبير ، يعيش فيها ذئاب استبد بها الجوع ، فإذا شبعت صارت طيبة وأليفة.. لكن الرغبة في الطعام كانت قوية .. لذلك تسللت الذئاب في الظل ، واختفت

حوادث الطرق

خلف الأشجار الضخمة ، في كمين ، فالامبراطور سوف يمر
بين يومٍ وآخر. وقد قررت الذئاب أن تهاجمه .. الأمبراطور
يتجول بالعربات ذات الجياد .. ومركبته من الذهب ..
وحاملو الأبواق يقرقرون ، وينفخون.. وفي الخلف تأتي
المركبات المحملة بالأزواد .. لحوم .. أفخاذ مجففة .. دجاج
.. مورتاديلأ أصلية من "مودينا" محار من "أوستندا" ..
تورتات .. فطائر من كل

الملك في هورم الحجر

_____ الملك فى هورم الحجر

وقعت هذه الأحداث فى اقليم هورم الحجر ، بالقرب من " وادى الملوك " فى الفرقة المختصة بحفريات قصر "منفتاح الثانى" تسلم "جين لكليرك" مدير فرقة الحفر العجوز خطابا من سكرتير " هيئة الآثار" يعلنه بزيارة شخصية هامة .. عالم آثار أجنبى لامع .. الكونت "ماندرانيكو". ومع الخطاب توصية من شخصيات كبيرة .

لم يكن "ليكليرك" يذكر أى عالم آثار باسم "ماندرانيكو" فقال فى نفسه :بدلا من أن تهتم " هيئة الآثار بالأهداف الحقيقية الهامة ، تشغل نفسها بالقرابات والنسب . لكن - على أى حال - لا شئ يدعو إلى الإزعاج ، فزميله قام بإجازة ، وهو فى الموقع بمفرده منذ عشرة أيام . ولا تضايقه فكرة رؤية وجه مسيحى فى هذه الخلوة المقدسة وخصوصا لو كان صاحب الوجه ذا اهتمام بالأحجار القديمة تلك . أما عن ذلك

شبح الجنوب

السيد فقد أرسل سيارة شاحنة إلى "أخميم" محملة بالمو
ن ومن فوق جناح خشبي كان يشرف على تفصيلات موقع
الحفر، إلى جانب أنه جهز مائدة عظيمة أنيقة .

أشرق ذلك الصباح الصيفي ، حارا ورطبا، محملا بآمال
متواضعة عادة ما تصاحب مولد يوم جديد في الصحراء ،
سرعان ما تذوب في حرارة الشمس . غير أنه بالأمس قد
خرجت - من آخر الفناء الداخلى بين كومات الأعمدة المنهارة
المكدسة بلا نظام - ومن بين الرمال - قاعدة مرمية عليها
نقش يعكس جلال الملك ، حتى بعد طول خفائها لقرون
عديدة في الظلام ، وهى خاصة بالملك " منفتاح الثانى " كتب
عليها : " خضع له ملوك الشمال والأحواض المنخفضة ،
راكعين أمام جلالته مرتين .. الحياة .. الصحة .. القوة

ربما تشير إلى اخضاعه لحكام أقاليم الدلتا الثائرين ، ولأنه
انتصر عليهم فإنهم ينتظرونه أمام باب المعبد ، لابسين
الشعور المستعارة المضمخة بالزيوت العطرية، فى أيديهم
أكاليل الزهر . لكن عيونهم ليست واضحة حيث أعشاها نور

الملك فى هورم الحجر _____

الملك. أعضاؤهم رهن إشارة من يده، آذانهم معلقة بصوته،
الكلمات الموجهة إلى "منفتاح" العظيم، ابن "آمون" (الحياة
..الصحة..القوة). حتى الليلة السابقة لم تكن الشفرة قد
حلت بعد. وتم ذلك على ضوء المشعل.

الآن، على الرغم من أن "ليكليرك" لم يكن يولى أهمية قط
للإثباتات الأكاديمية أو للشهرة، فإن هذا الاكتشاف قد حقق
له بهجة حقيقية. أخذ ينظر إلى الشرق، ناحية النهر الغائب
عن الرؤية، هناك حيث تنتهى آثار عجالات السيارات فى
مشهد بلا نهاية للشرفات الصخرية المعفرة بالرمال. ويشعر
بطعم الرضا الناتج عن إعلان الاكتشاف للضيف المجهول،
حقاً كم هو سعيد لأن ينقل إلى القادم خبراً طيباً.

لم تكن الساعة قد وصلت إلى الثامنة بعد، رأى فى تلك
الأثناء زوبعة خفيفة تثور فى الأفق، وتهبط إلى الأرض، أخذت
تشتد وتقوى، وتتماوج فى الهواء الثابت الشفاف. ثم بهبة
من الريح تحرك شعر "لكيليرك" الأبيض. وصل أيضاً طنين
موتور سيارة الرجل الغريب كانت على مشارف الطريق.

أشار "ليكليرك" بيده لاثنتين من الفلاحين العابرين. أسرع
الاثنتان إلى مدخل السور، وفتحا الباب ذا المزاليج القوية . بعد
قليل دخلت سيارة.

لاحظ "ليكليرك" على الفور شارة السلك الدبلوماسى على
اللوحة المعدنية للسيارة، مما أصابه بخيبة أمل خفيفة.

توقفت السيارة أمامه تقريبا، وخرج منها أولا شاب أنيق
المظهر، لا بد أن "ليكليرك" قد رآه من قبل فى القاهرة، ثم سيد
آخر ذو يشرة سمراء، تبدو عليه ملامح الجديدة أو قل ملامح
الضيقة وأخيرا نزل -بجهد شديد - عجوز ضئيل الجسم، فهم
"ليكليرك" أنه ذلك الضيف . كان وجهه خاليا من
التعبير، كأنه وجه سلحفاة. خرج الكونت "ماندرانيكو" من
السيارة مستندا إلى السيد الأسمر، وسار تجاه البوابة متكئا
على عصاه. حتى تلك اللحظة لم يكن يبدو أن أحدا فطن لوجود
"ليكليرك" البدين بردائه الأبيض الواسع الذى كان يخيم على
المشهد. أخيرا اقترب الشاب مقدما نفسه بالفرنسية: الم لازم
"آفجى كريستياني" من الحرس الجمهورى ، والبارون

_____ الملك فى هورم الحجر

"فانتين" (واضح أنه يقصد السيد الأسمر) فى شرف
اصطحب السيد الكونت "ماندراينكو"
- ربما أطلق كل هذه الألقاب ليصنع مزيدا من المهابة، من
يدرى - إلى هذه الزيارة التى (نأمل أن تكون ذات أهمية
عالية).

فجأة، وعند هذه اللحظة تعرف "ليكليرك" على الضيف :
طلما نشرت الصحف المصرية صورة ملك غريب، كان يعيش فى
عزلة عن القاهرة. عالم آثار لامع؟ لم تكن فرية إذن. وتذكر أن
هذا الملك كان قد أظهر فى شبابه اهتماما شديدا بتاريخ
الحضارات القديمة. وقد استند فى هذا إلى أبحاث معتمدة.
لذلك، مثل "ليكليرك" أمامه مضطربا،
وحياهه بانحناءة صغيرة، وعلى وجهه
الودود ابتسامة خافتة، غمغم ببعض الكلمات مع إشارة تحية
من يده، ثم قدم نفسه. وسرعان ما اهتدى "ليكليرك" إلى المخرج
اللبق المعتاد، فقال مشيرا إلى الطريق : "من هنا سيدي
الكونت. الأفضل أن نبدأ الجولة على الفور قبل أن تشتت

الحرارة. "بمؤخرة عينه لمح البارون "فانتين" ذا الأدب
الجم يقدم ذراعه للكونت، غير أن العجوز رفض المساعدة فيما
يشبه الغضب شارباً فى الخطو بضع خطوات ضيقة
بمفرده. تبعه "كريستيانى" الشاب عن كثب حاملاً حقيبة
بيضاء من الجلد تحت إبطه، وعلى شفتيه ابتسامة غامضة.
وصلوا إلى أعلى حافة صخرية، حيث تنحدر بين حافتين
عاليتين مقطعتين بدقة رائعة أرض فسيحة مائلة. فى أعماق
هذا المنحدر ظهر ما يشبه حفرة وسعة مسطحة، فى وسطها
عمود محطم، كان يشكل الواجهة الخارجية لبلاط الملك القديم.
أسماك جافة .. ظلال هندسية، تجويفات مستطيلة سوداء
لردهات وأبواب يعلو بعضها بعضاً فى فوضى
ظاهرة، كاشفة. فى هذه الصورة للموت، أن تلك كانت مملكة
الفرد. أخذ "ليكليرك" يشرح صعوبة العملية بإشارات مقطعة
.. قبل بداية الحفر، عُرئ المكان تماماً من الرمال والحطام إلى
أن وصلنا إلى رءوس الأعمدة وإلى الزخارف العليا للبلاط. جبل
من البضائع كان هناك، لذلك كان لابد من الحفر لرفع هذه

الملك فى هورم الحجر _____

الأشياء وإخراجها بعيداً بمستويات غير متناسبة، وصلت
فى بعض المواقع إلى عشرين متراً، حتى نصل إلى الطابق
الرئيسى للقصر. ولم يكن العمل قد وصل إلى منتصفه. سألت
الكونت "ماندراينكو" شيئاً ما بصوت كنفقنة الدجاج، مجرد
فتح الفم وإغلاقه بطريقة غريبة. لم يفهم "ليكليرك" كلمة
واحدة من السؤال. نظر إلى البارون الوقور طالباً المساعدة، فلا بد
أنه قد تدرب على هذا النوع من الكلام، أسرع البارون يشرح
بأعصاب هادئة قائلاً: "سيدي الكونت يريد أن يعرف منذ
متى بدأت الحفر". وكان فى كلامه نبرة ازدراء غامض، كما لو
كان من المنطقى أن يتكلم الملك العجوز بهذه الطريقة، وغبى
ذلك الذى يفكر فى الاندهاش منه. سبب هذا الضيق
لـ"ليكليرك" بعض الخجل، فأجاب: "منذ سبع سنوات يا
سيدي الكونت، وقد كان لى شرف افتتاح العمل، والآن هيا بنا
يمكننا أن ننزل من هنا، فهو المكان الوحيد الأقل
وعورة". وتقدم باضطراب إلى الكونت العجوز أمام الطابق المائل
المنزلق.

شبح الجنوب

حاول البارون مرة ثانية أن يقدم ذراعه للكونت، الذى لم يرفضها هذه المرة، وشرعا فى النزول مقارباً بين خطواته وخطوات الكونت. كذلك تقدم "ليكليرك" ببطء شديد احتراماً لهما. أصبح المنحدر وعراً .. الجو ساخن دائماً، والظلال تقصر، الضيف يسحب ساقه اليسرى قليلاً، معفراً الحذاء الجلدى الأبيض بالتراب، من أعماق الحفرة كانت تصل ضربات منتظمة، كما لو كانت لطارق خشبية .

عندما أصبحوا فى عمق الحفر، لم يروا أكثر من بناءات خشبية أقامتها الهيئة مخفية وراء حافة المنحدر، فقط الأحجار الضخمة القديمة، وحولها الحواف المتهاوية والمنسحقة والساقطة. فى جهة الغرب ارتفعت هذه الحواف ارتفاعاً شاهقاً مشكلة جبلاً حقيقياً، أبداً لم يظهر من قبل، والآن قهرته الشمس.

كان "ليكليرك" الودود يشرح، والكونت "ماندراينكو" يرفع إليه وجهه فى كل مرة بطريقة آلية دون مشاركة، مصداً على كلامه بإيماءات قصيرة، ربما لم يكن يسمع حقيقة. ها هو

الملك فى هورم الحجر

ذا عمود المدخل، جزء ضخم من "أبى الهول"، النقوش
الكتابية التى محاها الزمن تقريباً، حيث تذبى بأشكال آلهة
أو ملوك. غامضة كالجبال هذه الأسوار القديمة لا تجيب على
نظرات البشر.

أبصر الغريب حين أذن فى السماء سحباً غريبة تتصاعد
ببطء من قلب "أفريقيا". ليس لها رأس ولا ذيل، كما لو
كانت مقطوعة بسكين فقط متضخمة من الجوانب بدوامات
رخوة مزبدة. ويفضول أشار إليها الكونت بعصاه.

قال "ليكليرك" شارحاً: "هى سحابات الصحراء، بلا رأس
ولا ذيل كما لو كانت مسحوقة بين طابقين، أليس كذلك؟.. ظل
الكونت محملاً فيها لبضع لحظات ناسياً الفراعنة، ثم تحول
إلى البارون فى جذل سائلا عن شىء ما. ظهر على البارون
اضطراب وأخذ يفيض فى الاعتذار مبدياً ندمه الشديد. كان
مفهوماً أن "فانتين" نسى أن يضع آلة التصوير. لم يخف
العجوز غضبه، بل تحول عنه. دخلوا إلى القاعة الأولى، وهى
تسبح فى فوضى شاملة، فقط كان الترتيب المتناسق للأحجار

يشير بشكل تقريبي إلى زمن إقامة هذه الأعمدة والجدران. في الداخل صحنان مجدولان على شكل سمكتين ممتلئتين، كانتا لا تزالان على هيكتهما متصلين بالجدار أكثر انخفاضاً وانكماشاً، حيث يشكل مدخل باب كبير. كانت هذه هي الزخارف الداخلية للقصر، وقد لاحظ "ليكليرك" تماثيل بشريين عملاقين لدرجة أن النقش يشغل واحداً من الجدارين.. الفرعون "منفتاح الثاني" يمثل النجاح العظيم في المعركة.

تقدم رجل طاعن في السن يرتدى طربوشاً ورداء طويلاً أبيض من قلب المعبد، اقترب من "ليكليرك" وحدثه باللغة العربية حديثاً مضطرباً. أجابه "ليكليرك" هازاً رأسه وعلى فمه ابتسامه. سأل الملازم "كريستياني" بفضول: "عفواً، ماذا يقول؟" أجاب "ليكليرك": "إنه أحد المساعدين.. يوناني يعرف الآن عن المكان أكثر مني، فهو يعمل بالحفر منذ ثلاثين سنة على الأقل كان "كريستياني" مصمماً أن يعرف ما حدث بعد أن فهم جزءاً من الحديث، فقال: " لكن هل حدث شيء؟

الملك فى هورم الحجر _____

قال "ليكليك" : " هى حكاياته المعتادة، يقول إن بالهم اليوم مشغول.. هو دائما يقول هكذا عندما لا تسير الأمور وفق هواه.. هناك صخرة لم ينجحوا فى نقلها، انزلت خارج نطاق تحكمهم، هم الآن مضطرون أن يستخدموا الرافعة." قال "كريستيانى" متعجبا : " بالهم مشغول.. هه..هه.. ألا يعرفون كم تنعش هذه المفاجآت الكونت "ماندراينكو" ؟! مروا بالقاعة الثانية هى أيضا مدمرة وكئيبة. فقط على يمين القاعة ما زالت الدعائم المستديرة قائمة، تبرز منها هياكل عملاقة لفقرات عظيمة مفتتة. فى الوسط، حوالى عشرين من الفلاحين يعملون وعند ظهور السادة بدءوا الهياج والتصايح فى همة عظيمة ظاهرة، كما لو كانت أخذتهم فورة من الجنون .

مازال الملك الأجنبى ينظر إلى الضباب الصحراوى الفريد، الذى تمدد متصلا بعضه ببعض حتى أصبح سحابة واحدة كبيرة، ثقيلة وساكنة لا تتحرك. مر ظل على حواف الجبل المائلة إلى البياض جهة الغرب. الآن المساعد يتبع

"لكليرك"، يقود الضيوف إلى اليمين، إلى جناح جانبي، حيث المكان الوحيد الذى فيه الأبنية بحالة جيدة. كان معبداً جنائزياً، أصلح سقفه توأ، فقط بعض الثقوب هنا وهناك. دخلوا فى الظلام. خلع الكونت خوذته الضخمة، فأسرع البارون وقدم له منديلاً حتى يجفف العرق. كانت الشمس تتخلل بأشعة متوهجة رقيقة تسقط هنا وهناك على النقوش، فتعيد إليها الحياة. على الجوانب كان شبه ظلام وصمت، وأسرار. فى شبه الظلام كانت تتراءى تماثيل عالية، متصلة العروش، بعضها مقطوع الرأس، أو من الوسط إلى الأسفل، تعبر كلها عن إرادة صارمة، ومهيبة لقوة القهر.

أشار "لكليرك" إلى أحد هذه التماثيل، ذراعه مخلوع، لكن رأسه تقريباً لم تمس. كان له فم صارم وشرير. عند اقترابهم أدرك الكونت أنه وجه طائر، منقاره فقط هو الذى تحطم. قال "لكليرك": "مهم جداً هذا التمثال، إنه الإله "تحتوت". يعود أصله إلى الأسرة الثانية عشرة على الأقل، ولا بد أنه كان يعتبر ثميناً حيث إنه نقل إلى هنا. كان الفراغة يأتون إليه ليسألوه..

الملك فى هورم الحجر

"توقف، وظل ثابتاً كمن يرهف أذنيه. حقاً هناك صوت خربشة نحت صماء لا يعرف من أى جانب تأتي. استأنف "ليكليرك" ليهدئ الجو قائلاً: "لا شيء إنها الرمال اللعينة، عدونا،، معذرة، كنا نقول أن الملوك، قبل أن يسافروا للحرب، كانوا يسألون هذا التمثال المشورة كنوع من استشارة الإله.. فإذا ظل التمثال ساكناً فإن الإجابة بالنفى.. أما إذا حرك رأسه فهو موافق.. فى مرات كانت هذه التماثيل تتكلم.. من يدري بأى صوت.. الملوك فقط هم الذين يتحملون هذا.. الملوك لأنهم أيضاً آلهة.."

تحول فى شك غامض، وهو يتكلم، خوفاً من أن يكون قد ارتكب خطأ ما لكن الكونت "ماندراينكو" كان يحدق فى التمثال باهتمام غير متوقع، وليس قاعدته الجرانيتية بطرف العصا كمن يختبر متانته.. ثم سأل أخيراً فى نبرات متشككة سؤالاً ما. وقام البارون بالترجمة مخمناً أن "لكليرك" لم يفهم كلمة: "سيدى الكونت يسأل عما إذا الملك يأتى بنفسه لسؤال التمثال "فأكد عالم الآثار كلامه بثقة: " بالتأكيد، يقولون.."

ويقولون إن "تحوت" كان يجيبهم.. وها هو ما أقوله لكم
ها هو ذا أمامكم فى قلب اللوحة على القاعدة .. أنتم أول من
يشاهدها .. "وفتح ذراعية واسعاً، بحركة فيها شئ من
المرحية، وظل هكذا ساكناً ينصت من جديد.

صمت الجميع رغماً عنهم، صوت السحب عاد ينحت من
جديد حولهم غامضاً، كما لو كانت القرون تحاصر العبد
ببطء، تحاول أن تدفنه مرة أخرى كانت أشعة الشمس
منحرفة بعض الشئ، أما الآن فهي تنزل عمودية
تقريباً، موازية للسـمكتين الكبـيرتين،
لكنها خافته..، تقريباً كانت السماء ضبابية. ما إن بدأ
"ليكليرك" فى الشرح، حتى ألقى البارون نظرة إلى الساعة فى
يده .. العاشرة والنصف .. إنها نار جهنم . سال "ليكليرك"
بمودة : " هل سببت لكم بعض التأخير أيها السادة ألا يمكننا
أن نعد لكم الإفطار فى الحادية عشرة ونصف .. " فقال الكونت
فى نبرة جافة متعجباً : "الإفطار؟ ثم توجه إلى "فانتين" بعد
أن فهم قائلًا : "ولكننا لا بد أن نرحل فى الحادية عشرة على

_____ الملك فى هورم الحجر

الأكثر.."

علق "ليكليرك" بلهجة بائسة "ألن أنال أذن الشرف؟ ..
" فحوّل البارون الكلام بدبلوماسية شديدة قائلاً: "لقد شوانا
الحر .. حقاً أصبحنا منفعلين .. لكن أعاهدك .."

اضطر عالم الآثار لاختصار حديثه على مضض، متجاوزاً
إلى أشياء أكثر أهمية تحدث. ارتدت المجموعة الصغيرة على
آثارها مرة أخرى. كانت الشمس غائبة، وغمامة حمراء تنتشر
فى السماء، الجو قاتل . عند نقطة معينة غمغم الكونت ببعض
الكلمات إلى "فانتين" الذى تركه وتقدم للأمام . توجه
"ليكليرك" للخروج مع الاثنين الآخرين . وظل الكونت وحده
بين التماثيل الأثرية.

بعد خروجهم من المدخل، أخذ "ليكليرك" يفحص قبة
السماء الزرقاء. كان لها لون غريب. فى تلك الأثناء سقطت
قطرة من الماء على يده. إنها تمطر تعجب: "مطر.. منذ ثلاث
سنوات لم تُر قطرة ماء!.. إنه نذير سيىء فى ذلك الوقت ..
إذا أمطرت فإن الفراعنة تحاول القيام بمغامرة ما مرة

أخرى..”

تحول ليلحق بالكونت، الذى تخلف فى المعبد
بالداخل، لكى يخبره بالخبر الفريد؛ وراه. كان لا يزال واقفاً
أمام تمثال “تحتوت” ويتكلم. الصوت لم يكن يصل إليه، غير أنه
لمح الغم يفتح ويغلق باحترام، بتلك الطريقة الفريدة للسلحفاة .
ترى هل يناجى الكونت نفسه؟ أم أنه يسأل الإله حقاً مثل
الفراعنة القدماء؟ لكن ترى أى شىء يطلب منه؟ لا حروب
هناك سيخوضها، ولا قوانين سيذيعها ولا مشروعات ولا
أحلام. إن مملكته هناك عبر البحار ضائعة دائماً. الخير
والشر فى الحياة ضاعا حتى فى القلب. لم تتبق إلا أيام تعميسة
بلا جدوى، هى بالضبط نهايات الطريق. أى عناد يتشبث به
إذن ليجرؤ على امتحان الأيام؟ أم أنه تائه لا يذكر إلا شيئاً
حدث قديماً ويتخيل أنه يعيش تلك الأيام الجميلة البعيدة؟ أم
أنه يقوم بمزحة؟ لكنه لم يكن من هذا النوع .

صاح “لكليوك” فى فزع مفاجئ: “سيدى الكونت! سيدى
الكونت نحن هنا .. لقد بدأت السماء تمطر.. ”كان مجيئه

الملك فى هورم الحجر

متأخرا جدا فقد خرج من المعبد صوت رهيب. امتقع وجه
 "ليكليرك" وتراجع البارون "فانتين" خطوة، فانزلت الحقيبة
 البيضاء من تحت إبط الشاب. وتوقفت قطرات المطر. صوت
 أعمدة خشبية تتدحرج، أو دقات طبول كثيفة، تصدر تقريبا
 من معبد "تحوت" ثم أخذ الصوت يمتد فى عواء
 أجوف، متقطع، مضطرب ربما يشبه نواح النوق، بل هو أسوأ
 بداخله لون من ألوان الجحيم.

الكونت "ماندراينكو" ثابت، ينظر. لا يبدو عليه تقهقر
 ولا إشارة إلى الفرار. كان منقار "تحوت" الحاد ينفث عن
 ابتسامة مأكرة، الجناحان كأنهما ذراعان مبتورتان ينفثان
 وينغلقان بطريقة وحشية، الشيء الذى ربما يثير مزيدا من
 الرعب، ن حيث إن بقية التمثال ظلت هامة بلا حراك فاقدة
 الحياة كلية. وكان الصوت يخرج من المنقار.

كان الإله يتكلم فى السكون .. هذا ما يبدو، فإن أحجاره
 اللعينة كان لها رنين كثيب.

لم يعد "ليكليرك" قادرا على الحركة .. رعب لا مثيل له

شبح الجنوب

شل حركته، وجعل قلبه يقفز من مكانه. والكونت؟ كيف استطاع الكونت أن يتحمل ربما لأنه كان ملكا هو الآخر؟ له قدسية تشبه الفراعنة المدفونين؟ لكن الصوت الآن يتماوج فى همهمات.. يخفت، ثم يتلاشى تاركا صمطا مرعبا. حينئذ فقط تحرك الكونت، بخطواته الضيقة الهشة توجه إلى الباب لم يكن يرتجف، لم يكن خائفا. اقترب من "ليكليرك" وثبت عليه بصره بطريقة مخيفة، وقال وهو يهز رأسه علامة التأكد: شيء خارق.. حقا شيء خارق.. خسارة أن قد تحطمت كنا بحاجة "

لم يكن البارون حاضرا هذه المرة ليتترجم هذه الغمغات الأخيرة. وحتى البارون كان سيصمت، سيغلبه ذلك العجوز الجاف. الذى أصغى إلى لغز الحياة، مسكين هو.. لن يفهم أى شيء إلا انه قد تحدث إلى أحد الآلهة. أخيرا تنهد "ليكليرك" متوسلا، بعد أن تملكه هاجس غامض، وقال: "ولكن بحق السماء، ألم تسمع؟" رفع السيد العجوز رأسه بحركة متعالية، وقال: "غبي.. غبي" ثم أضاف بتقطيعة مفاجئة

_____ الملك فى هورم الحجر

بعض الكلمات عن "فانتين" وآلة التصوير. واضح منها أنه مستاء بعد أن تمالك "ليكليرك" نفسه، حقق فى الكونت بشعور غريب، بين الانكسار والكراهية. غير أن مجموعة من الملاعين ظهرت من أقصى الحفر. الفلاحون يصرخون بجنون، والمساعد يهرع من جوف المعبد للنجدة وهو يصرخ سال "فانتين" فزعا: "ماذا يقول؟ ماذا حدث؟" فقام "كريستياني" الشاب بالترجمة قائلا "عملية تساقط، أحد الفلاحين دفن تحت الرمال. "كور" ليكليرك" قبضتي يديه حيرة.. لماذا لم يرحل الغريب؟ لماذا لم يكف عما فعل؟ لماذا أراد أن يوقظ السحر النائم لآلاف السنين. فى الحقيقة كان الكونت "ماندراينكو" قد ذهب فعلا، يجر ساقه عرجا. فى نفس الوقت أدرك "ليكليرك" أن كل شيء حوله من الجوانب التى أحرقتها الشمس إلى الصحراء.. كل شيء يتحرك. جلاميد صغيرة تنهار هنا وهناك فى صمت، كوحوش حذرة.. بحركة دائمة تنحدر تجاه الحواجز.. القنوات.. الفجوات الضيقة، المصاطب واحدة بعد

الأخرى، توقفت الآن، ثم استأنفت، زاحفة تجاه الآثار المدفونة، ولم يكن هناك أثر للرياح. بدت الضوضاء الفاجمة عن التساقط - للحظة - حقيقة مطمئنة. فالنهاية - والحمد لله - كانت صورية فقط لكن الكونت الشجاع أسرع متعجلاً. لم يسأل لماذا يصرخ الفلاحون، ولا نظر إلى الرمال، لم يلق بالاً إلى "ليكليرك" الذي شحب لونه. فالقدر كان قد تحتم، وانزلت قدمه بين دومات الرمال واختفى. ظل "ليكليرك" وحده على حافة المنحدر، يحدق في مملكته. الرمال تواصل تساقطها، بقوة غامضة. رأى الفلاحين أيضاً يغادرون القصر في فوضى سريعة يهربون فزعين، يختفون بلا تفسير. والمساعد بردائه الأبيض يجرى هنا وهناك بنداءات غاضبة، محاولاً عبثاً أن يبيقهم في مواقعهم، ثم خرس هو الآخر. حينئذ كان من الممكن أن يسمع صوت الصحراء وهو يتقدم: كورس خاضع من آلاف الخشخشات الجماعية. والآن انهيار رملى صغير أصاب بانزلاقه المائل قاعدة العمود الأول، وتلاه تدفق ثان بعد قليل غمر القواعد كلها. غمغم "ليكليرك" (ربى .. ربى)

السمعة الطيبة

الكونت "أتليو فوسادورو" ، ذو أربعة وسبعين عاماً ،
 رئيس محكمة الاستئناف المتقاعد ، ضخم الجثة .. شعر ذات
 ليلة بتوعك ، ربما لإفراطه في الطعام والشراب . قال وهو
 يأوي إلي الفراش : " أشعر ببعض الثقل "
 غمغمت زوجته "الويزا" : " أنا أتحدى ..
 استسلم الموظف المتقاعد للغم ، وهو في الفراش .. مستلقياً علي
 ظهره ، وفمه مفتوح .. لم يكن يجيب أحداً .
 هل كان نائماً ؟ أم مصاباً بثقل النبيذ ، أم هو مريض ؟
 نادوه ، هزوه بقوة .. رشوا الماء علي وجهه ، بلا فائدة .
 حينئذ خيم تفكير سييء ، اتصلت السيدة "الويزا"
 بطبيبها المعالج الدكتور "البريتسي"
 وصل الطبيب بعد منتصف الليل بنصف ساعة . نظر ،
 وقاس النبض ، وضربات القلب ، رأى أن يظل في نطاق الشك ،

شبح الجنوب

بدت عليه أمارات الرقة الدبلوماسية المفتعلة للأطباء ، تلك التي لا تترك مجالاً لتخمين شئ طيب . في صالون صغير ملاصق ، اجتمع الطبيب والكونتيسة ، والولدان "اينو" و"مارتيننا" -اللذان دُعيا علي الفور - وأطالوا الحديث بصوت منخفض .

أصبح التخمين مهدداً ، تقرير أن يعاد الأمر علي العلامة الكبير الطبيب العجوز صاحب الشهرة العالية .. له من العمر ثلاثة وثمانون عاماً من الاسم المدوي ، الأستاذ "سيرجو ليبراني" كان دائماً هو الأكثر شهرة ، غير أنه لم يكن يمثل بالنسبة "لفوسادورو" أكثر من الرعب .

قالت السيدة "الويزا" آمرة : " متي ستناديه إذن ؟ !
الآن حالاً ! "

" لا ، لا ، انزعي هذا من عقلك ، في هذه الساعة لا يتحرك مطلقاً ! "

" من أجل الكونت "فوسادورو" سيتحرك ، لكن كيف !
أتراهنني يا عزيزي "البريتسي" ؟ "

اتصل به فعلاً ، وفي لهجة قوية استطاعت أن تقلب عادات
الأستاذ الصارمة .

وصل إلي القصر في حوالي الثانية ، يرافقه ، بل يسنده كبير
مساعديه ، الأستاذ "جوزيف ماراسكا" . دخلا الحجرة ،
كان "فوسادورو" لا يزال غارقاً في نوم ثقيل ، يتنفس
بصعوبة بالغة .

جلس علي طرف السرير ، وترك "ماراسكا" و
"البريتسي" العمل ، الذي واصله خطوة خطوة : النبض ..
تاريخ المرض .. الحرارة .. القلب .. الضغط .. الخ ..
بارد .. جفناه مغلقان علي نظرة ثابتة " أوكان الأفضل أن
يفسر هذا بالنوم ؟ "

كان "ليبراني" يسمع دون أي انطباع .
في النهاية صاح "ماراسكا" في أذنه : " يا أستاذ ! " بدا
الصوت المفاجئ مزدوجاً في ذلك المكان ، وفي تلك الظروف ،
وفي تلك الساعة .

أفاق "ليبراني" علي الصوت ، وطلب الأطباء الثلاثة أن

شيخ الجنوب

يتركوا بمفردهم . لكن المشاورة لم تستمر أكثر من ثلاث دقائق
بعدها قال " ليبراني " للسيدة التي سألته منغلقة : " ماذا
بعد يا سيدي ؟ "

أجاب: سيدتي ، قليل من الصبر ! ستعرفين كل شئ في
الوقت المناسب ، من طبيبه المعالج. "

لم يبالغ " البريتسي " في قيمة نفسه .. اتخذ الاحتياط
الواجب ، فبدأ جوابه الحاسم الخطير : " انسداد في شرايين
المخ ، اشتباه في ورم خبيث .. لا أمل .. أسبوع واحد علي
الأكثر.

كم كانت دهشة " البريتسي " في الصباح التالي ، عندما
حضر إلي قصر " فوسادورو " ليعرف الأخبار..

الخادمة " ايدا " فتحت الباب بابتسامة مضيئة قائلة:

" كل شئ علي ما يرام ، يا دكتور ، الأمور كلها بخير

لقد ساورني الشك من أول دقيقة ، لكن هل كان يمكنني أن

أتكلم بحضرة أولئك الأساتذة ؟ نعم هو تأثير الشراب ، لا شئ

أكثر من ذلك "

في تلك اللحظة ظهر هو الآخر بشوشاً .. إنه المحتضر..
" شكراً يا عزيزي " البريتسى " علي كل الإزعاج الذي
لقيته من أجلي هذه الليلة . يؤسفني حقيقةً .. أعرف ذلك..
ما كان يجب أن تحدث مثل هذه الأشياء في حياتي."
" لكن كيف حالك ؟ كيف وقفت علي قدميك؟"
" حسناً .. رأسى كان يدور قليلاً ، نعم .. لا شئ سيئاً غير
ذلك علي الإطلاق . وفي هذه الحالات لا يوجد علاج يوازي
نوماً جميلاً . "
عندما عرف "ماراسكا" خبر "بعث" " فوسادورو" من
"البريتسى" أصيب أولاً بالذهول، ثم تحت ثقل الشعور
بالفضيحة ذهب به الغضب كل مذهب . وقال :
" مستحيل خارق للعادة الأستاذ "ليبراني" لا يخطئ
أبداً لا يمكن أن يخطئ في رأيك أنت ، ماذا يمكن أن يحدث ؟
لقد وقع الأستاذ في مأزق في الشهر الماضي ، ومن الجائز جداً
أن يصاب بالسكتة القلبية . كان يجب أن يظل المريض في
الفراش ستة أيام . هناك فشل . آخر محتوم . هل تفهم ؟

صبح الجنوب

" بعد كل شئ ، فأنت غبي أيضا لأنك لم تفهم أن الأمر لم

يكن إلا حالة سكر "

"وأنت ؟ وأنت إذن ؟ "

" أنا .. أقسم أنني شككت في هذا . لكن جرب أنت أن

تخالف الأستاذ ، تعرف ما هو جنس طبعه . والآن ، لقد

أعلن عن جثة "فوسادورو" . "

" يا للمصيبة وما العمل ؟ "

" اسمع ، بالنسبة للأستاذ ، يجب أن يتخذ الحرص

الممكن ، أتفهمني ؟ نعم .. كل الاحتياطات سأذهب بنفسي

للتحدث مع الكونتيسة؟

" لنقول لها شيئا ؟ "

" دع هذا لي . لا داعي للخوف . سأرتب الأمور علي خير

وجه

تحدث "ماراسكا" الجامعي الجريء المتسلق إلي السيدة

"الويزا" قائلا بوضوح : " هنا يحدث شئ بالغ الخطر ،

الأستاذ "ليبراني" أصدر حكما بمصير قاتل .. قصير الأجل ،

والمريض الخاضع للعلاج قام وتجول في البيت أيضا ،
بغرض..”

” لكن ، حقا .. ”

” يا الله !! أي مصيبة ! مركز طبيب كبير ، له كثير من
الحاسدين ، يوضع في مقامرة كهذه لا يمكن أن نسمح بهذا
مطلقا . ”

” لكن .. أعطني حضرتك المشورة يا أستاذ.”

” علي أي حال ، الخطوة الأولى أن تقنعي الكونت بملازمة
الفراش، اجعليه يفهم أنه مريض ، مريض بمرض خطير . ”
” لكن ، إذا كان هو يشعر أنه بخير ”

” لا ياكونتسة ، لم أكن أتوقع من حضرتك هذه المعارضة .
ألا تقيمين حسابا لحساسية الموقف ؟ حياة مضيعة لخدمة
البشرية المعذبة .. شهرة مكتسبة بالعمل المتواصل لسنوات
طويلة ، أيسقط كل ذلك في الوحل ؟! ”

” لكن ألا يكون من المنطقي أن نتحدث إلي زوجي ؟ ”

”الرحمة يا رب ! في ذلك العمر يتعلق المرء بالحياة

شبح الجنوب

.. ثم إنه سيضع في الاعتبار .. اسمحي لي .. أيضاً اسم بيت
"فوسادورو" إذا قدر وعرفت الحقيقة ، إذا أصبح المستشار
الكبير المستقيم ذو الحسب والنسب أضحوكة الساحة .. سكير
مدمن .. بلا وازع من العقل "

" أستاذ ، أنا لا أسمح لك .. "

" عفواً ، كونتيسة ، لكن المجال ليس مجال

مجاملات .

الأستاذ "ليبراني" يجب أن ينقذ بأي ثمن . "

" وماذا يجب علي زوجي أن يفعل ؟ يختفي ؟ أم

يتخلص من الحياة ؟ "

" هذا شغلكم يا كونتيسة . من ناحيتي سأردد :

"ليبراني" لا يخطئ أبداً ، وهذه المرة أيضاً لم يخطئ .. أي

غربة في هذا ، تحفظ بسيط من أجل عالم كبير ! "

"يا أستاذ ، أنا لا أعرف .. لا أفهم .. أنا شخصياً

ليس عندي مانع في أن أضع نفسي تحت تصرفك .. "

عصراً .. حضر الأستاذ "ماراسكا" إلي قصر

"فوسادورو" والغضب يشتعل في عينيه ، يصاحبه اثنان من
المساعدين الشبان يرتديان زي طهاة ؛ واتخذا وجهتهما إلي
المطبخ . في المساء أقيم عشاء عائلي كبير بمناسبة يوم ميلاد أحد
الأحفاد ، من بين المدعوين ، كان هناك "ماراسكا" الثائر .
جري تنفيذ العمل - في الحقيقة - بنظام فني .
هبطت درجة الانفعال والانزعاج . حالما تناول الكونت
"اتيليو فوسادورو" أول قطعة من التورتة وابتلعها ، تيبست
أعضاؤه ، ومازالت علي شففتيه الابتسامة الطيبة التي
كانت مرتسمة منذ دقائق . علي الفور اتصل "ماراسكا"
بالعلامة قائلاً :
" تهانينا مرة أخرى يا أستاذ ، الكونت يفارق
الحياة لحظة بلحظة . "

شيخ الجنوب

من بين البيوت المترنحة ، والشرفات التي ثقتها أكوام
التراب ، بين الأزقة العفنة ، والجدر المجدسة ، والروائح
الكريهة المعشقة في كل ثقب ، وحدي في منتصف أحد الطرق
في "بورسعيد" رأيت منظراً غريباً. علي جانبي الطريق ،
وتحت البيوت بطولها يسير أهل الحي البؤساء ، لم يكونوا
كثيري العدد في الحقيقة ، غير أن الشارع كان يبدو مليئاً
بالحركة ، لأن الجماهير كانت منتظمة ومستمرة . في وسط
سحب التراب ، وانعكاسات ضوء الشمس الذي يُعشي البصر ،
جذب انتباهي بشدة شئ كالذي يحدث في الأحلام . لكن
الواقع أنه في وسط الشارع تماماً - شارع مثل آلاف الشوارع
الأخرى ، التي تعبرها العين بكل ما فيها من بيوت فخمة و
أكواخ متداعية - تماماً في الوسط ، عبر رجل يغمره ضوء
الشمس تماماً .. عربي علي ما يبدو ، يرتدي رداء طويلاً
أبيض ، كان يمشي ببطء في وسط الطريق ، متردداً كأنه يبحث

عن شيء ، أو كمن يتمايل مما به من دوار . كان يمشي مبتعداً بين الحفر المتربة دائماً بخطواته التي تشبه خطوات الدب ، دون أن يحترس منه أحد .. كان يبدو في ذلك الشارع ، وفي تلك الساعة كأنه يجمع في نفسه بقوة غريبة كل العالم الذي يحيط به .

كانت بضع لحظات إلي أن ارتد إلي بصري ، أدركت أن الرجل ، بخطواته الغريبة قد اصاب روعي دون أن أعرف لذلك تفسيراً منطقياً . قلت لرفيقي : " انظر أي غرابة هناك ! " وكنت أتوقع منه كلمة أشعر بدبيب قلق داخلي ، ومازلت أنظر إلي قلب الشارع لأراقب الرجل .

قال رفيقي : " أي غرابة ؟ " . أجبته : " نعم ، إنه ذلك الرجل الذي يترنح في وسط الشارع "

وبينما كنت أتكلم اختفي الرجل . ولا أدري إن كان قد دخل إلي أحد البيوت ، أو إلي أحد الأزقة ، أو ابتلعه الزحام الذي كان يزحف بطول البيوت ، أو أنه قد تلاشي وأصبح لا شيء ، أحرقته شمس الجنوب . قال رفيقي : " أين ؟ أين ؟ " .

شيخ الجنوب

فأجبتة : " كان هنا ، لكنه اختفي الآن "

ثم ركبنا السيارة وقمنا بجولة ، فالساعة كانت الثانية والحرارة شديدة لم يعد القلق مسيطراً ، وإنما تحول بسهولة إلى نوع من التبدل ، إلى أن وصلنا علي حدود القرية الوطنية حيث البيوت الكبيرة التي تغطيها الرياح الإفريقية بالأتربة قد انتهت ، وبدأت الرمال والشمس ، وبعض الكواخ الرثة التي تمنيت - من باب الشفقة - ألا تكون مسكونة . لكن عند النظر جيداً ، لاحظت أن هناك خيطاً من الدخان - لا يكاد يري من بين لهيب الشمس - يتصاعد من إحدى هذه العيش ، شاقاً طريقة بصعوبة إلى السماء . إذن هناك أناس يعيشون بالداخل ، فكرت في ذلك وأنا أؤنب نفسي ، بينما كنت أنزع قطعة من الحشو من أحد أكمام ردائي الأبيض ظللت هكذا أشغل نفسي بهذه التأملات كسائح ، عندما خانتني زفرة . فقلت لرفيقي : " يا لهم من أناس ! انظر ذلك الصبي والوعاء في يده ، مثلاً ، تُري فيم يأمل .. " لم أنه كلامي لأن أبحارنا لم تستطع أن تركز في ضوء الشمس علي شئ واحد ، فتحولت

مجهدة لتقع علي رجل في رداء طويل أبيض ، يخطر به
متمايلاً مبتعداً عن الأكواخ إلي وسط الرمال ، تجاه حافة أحد
المستنقعات.

قلت لرفيقي بصوت مرتفع ربما لأهدئ نفسي :
” يا للسخرية ! منذ نصف ساعة نتجول ، وعدنا إلي نفس
مكاننا الأول ! انظر ذلك النموذج ، ذلك الذي كنت أكلّمك
عنه ! ” كان هو فعلاً ، لاشك في ذلك ، بخطواته المترددة ،
كما لو كان يبحث عن شيء ما ، أو كمن يترنح ، أو به بعض
الدوار . والآن أيضاً يدير كتفيه ويذهب مبتعداً في ببطء ،
يكمل - علي ما يبدو لي - حلقات قدر صابر وعنيد .

إنه هو ، تولد القلق في نفسي من جديد أشد قوة ، لأنني كنت
أعرف جيداً أن هذا ليس هو المكان الأول ، وأن السيارة -
علي أكثر تقدير - قد ابتعدت عدة كيلو مترات ، لا يستطيع
أن يقطعها رجل يسير علي قدميه . ومع ذلك كان العربي
الغامض هناك ، يسير في اتجاه حافة المستنقع ، حيث لا أفهم
عن أي شيء عساه يبحث هناك . لا .. إنه لا يبحث عن شيء ،

شبح الجنوب

أنا متأكد من هذا . سواء كان رجلا من لحم وعظم ، أو كان سرايا ، فإنه يظهر من أجلي ، يفتقل بمعجزة من مكان إلي آخر في المدينة لكي يعثر علي ، وكنت مدركا عن طريق صوت يهجس في داخلي بمشاركتي الغامضة التي تربطني بذلك الوجود .

أجاب الرفيق دون مبالاة : " أي نموذج ؟ أتعني ذلك الصبي الذي معه الوعاء ؟ "

قلت بغضب : " لا ، طبعاً ! ولكن ألا تراه هناك في عمق الصحراء ؟ ألم .. ألم يكن موجودا هناك ، هو ذلك الذي .. الذي .. "

ربما كان تأثير الضوء ، أو بريق أشعة الشمس في العيون ، لكن الرجل كان قد تلاشي وكأنه لم يكن ، كارثة وخداع . في الحقيقة توقفت الكلمات في فمي ، أخذت أتمتم ، توقفت وظللت أهدق في الرمال الفارغة .

قال لي الرفيق : " أنت لست علي ما يرام ، فلنرجع إلي السفينة . حينئذ حاولت أن أضحك قائلا : " لكنني لا أفهم أي

غرابة هذه ؟ ”

في المساء رحلنا ، نزلت السفينة إلى القناة عبر البحر الأحمر في اتجاه خط الاستواء ، وفي الليل ظل خيال العربي ماثلاً في نفسي ، بينما كنت أحاول عبثاً أن أفكر في أشياء أخرى حدثت في كل الأيام . ولكن كان يبدو لي فكرة غامضة أنني أسير وراء شيء معين بقرار ليس هو قراري ، وقد استقر في عقلي أن رجل "بور سعيد" لم يكن شيئاً غريباً ، فقد كانت لديه تقريباً الرغبة في أن يوجهني جهة الجنوب ، ولم يكن تمايله وترنحه كالدب إلا تموهات ساذجة عن قالب السحر المؤكد الذي يحمله .

أقلعت السفينة ، وشيئاً فشيئاً بدأت أقنع نفسي بأنني كنت مخطئاً فالعرب جميعاً تقريباً يرتدون ثياباً متشابهة ، لا بد أن لبساً قد حدث لي وساعدته شكوكي . علي أي حال عدت لأسمع الصدي الغامض المقلق صباحاً عندما رسونا في "ماساوا" . في ذلك اليوم كنت أتجول بمفردي ، في ساعات الظهيرة ، وكنت أتوقف عند المفترقات لأستكشف ما حولي .

شيخ الجنوب

كان يبدو لي أنني أقوم بنوع من الفحص . ربما يظهر إنسان
"بور سعيد" رجلاً كان أو خيلاً .

تجولت حوالي ساعة ونصف الساعة ، ولم تعد الشمس
تسبب لي ألماً " وهي شمس مأساوا الشهيرة " حيث إن
التجربة يبدو أنها نجحت طبقاً لما كنت أؤمل فيه . قادتني
قدماي ناحية تاولود ، توقفت لأقوم بعملية مسح للمنطقة ،
رأيت عرباً وارتريين وسودانيين ، وجوهاً نقية

وأخري شريرة ، لكنه هو ، لم أره بينهم . بفرحة تركت
نفسي أهيم في حرارة الشمس ، كمن تحرر من ثقل .

ثم حل المساء ، وعادونا الرحلة تجاة الجنوب . غادر
رفاقي السفينة حتي أصبحت شبه فارغة ، شعرت بالوحدة
والغربة ، شعرت بأني دخيل علي عالم الآخرين . الآن رفعت
المراسي ، وبدأت السفينة تقلع بعيداً عن الرصيف الصحراوي .
لم يكن هناك أحد ليودعنا ، فمر بعقلي الداخلي للحظة أن
شبح "بور سعيد" كان مهتماً بأمري ، ربما ليضايقني ، ولكنه
أفضل من لا شيء ، نعم كان يخيفني باختفائه السحرية ،

لكن هذا في نفس الوقت كان مدعاة للفخر . فالرجل - في حقيقة الأمر - جاء من أجلي "فريقي الذي كان يصاحبني في الطريق لم ير له أثراً " .

ومع اعتبار بعد المسافة الآن عن ذلك الكائن ، ظهر لي كأنه تجسيد لحل لغز أفريقيًا . إذن كان هناك بيني وبين هذه الأرض، قبل أن أشتبه في ذلك، علاقة ما. هل جاءتني رسالة. من ممالك الجنوب الأسطورية كي ترشدني إلى الطريق؟

أصبحت السفينة علي بعد مائتي متر من الرصيف وها هو ذا شبح صغير أبيض يتحرك علي البعد ، علي الشريط الأسمنتي الرمادي . يبتعد ببطء علي ما يبدو لي- متردداً كما لو كان يترنح أو يذهب باحثاً عن شيء ما ، أو ربما كان مصاباً ببعض الدوار . بدأ قلبي يخفق . كان هو .. أنا متأكد من ذلك ، لا أحد يدري إن كان رجلاً حقيقياً أو خيالاً ، ربما أدار كتفيه ليتجه ناحية الجنوب " لكنني لست متأكداً بسبب بعد المسافة " ، سفير غير عادي من عالم قد أنتمي إليه أنا أيضاً .

شيخ الجنوب

واليوم في "هرر" أخيراً قابلته مرة أخرى . أنا الآن هنا ،
 في بيت شبه منعزل لأحد الأصدقاء أكتب ، صوت الصباح
 البترولي يملأ رأسي ، الأفكار تذهب وتروح كالوج ، ربما من
 التعب ، ربما الهواء الذي تسببه الآلة . لا ، لم يعد هناك
 خوف ، كما حدث قريباً عند المستنقع في
 "بور سعيد" بل علي العكس ، كأذني أشعر بشئ أرق مما
 كنت أتوقع . رأيتة اليوم ، بينما كنت أبحث في شعاب
 المدينة ، كنت أسير منذ نصف ساعة في خلال تلك الشعاب
 الملتوية المتساوية والمختلفة في نفس الوقت ، وكان هناك ضوء
 جميل بعد نهاية العاصفة . كنت أتسلي بإلقاء نظرة من خلال
 الثقوب النادرة ، حيث تنفتح علي ساحات أسطورية ، كانت
 الطرقات مقفرة ، والبيوت - أو ما يشبه البيوت - صامتة ،
 أول ما يتبادر إلي الذهن أنها مدينة ميتة ، حصدها وباء ،
 وليس هناك سبيل للخروج . أصيب الليل هنا ، في بحثه
 الحزين عن الحرية .

كانت هذه الأفكار تراودني عندما ظهر لي مرة أخرى .

شبح الجنوب

عند التقاء وعمر للطرق المنحنية ، حيث كنت أنزل في طريق أقل انحناء وأكثر استقامة ، لذلك كنت أستطيع الرؤية علي مدي ما يقرب من ثمانين متراً كان يمشي بين الحصي مترنحاً ، في مشية الدب ، وابتعد مولياً ظهره بطريقة ذات معني .. ليست حزناً خالصاً .. لم أعرف حقاً ماذا يعني . لكنه كان هو .. دائماً رجل "بور سعيد" رسول المالك الأسطورية ، الذي لا يتركني أبداً .

جريت بين الحصي بأقصى سرعة ممكنة ، أخيراً .. لن يفلت مني هذه المرة ، جداران أحمران متماثلان يغلقان الطريق المنحني ، ولست هناك أبواب . جريت حتي منعطف الزقاق وانتظرت ، حتي لا يكون بيني وبين الرجل أكثر من ثلاثة أمتار . لكنه لم يكن هناك .. تلاشي في اللاشيء مثل كل مرة . رأيته بعد ذلك أكثر من مرة ، دائماً بنفس الشكل ، يبتعد في اتجاه أحد المستنقعات ، لا إلي البحر ، ولكن إلي الداخل ، لم أعد اجري خلفه كنت أقف ثابتاً وأراقبه ، بحزن غامض حتي يختفي في زقاق جانبي .. ماذا كان يريد مني ؟

شبح الجنوب

إلي أين يريد أن يقودني ؟ أنا لا أعرف من أنت ، هل أنت رجل ، أم خيال ، أم سراب ، لكنني أخشي أن تكون مخطئا .. أخشي ألا أكون أنا الذي تبحث عنه . الهدف ليس واضحا تماما ، لكن يبدو لي أنني فهمت أنك تريد أن تقودني إلي هناك دائما ، في كل مرة إلي هناك أكثر ، دائما إلي الداخل ، حتي حدود مملكتك المجهولة.

فهمت هذا .. وربما تكون جميلة .. صبور أنت ، تنتظرني عند مفارق الطرق المنعزلة لتعرفني الطريق ، وبحكمة حقيقية تتظاهر بأنك تهرب مني بديبلوماسية الشرق كلها ، ولا تجرؤ حتي أن تكشف وجهك . تريد فقط أن تجعلني أفهم - علي ما يبدو لي - أن ملكك ينتظرني في وسط الصحراء ، في القصر الأبيض الرائع ، الذي تحرسه السباع ، حيث تغني النافورات الساحرة . لا بد أنها جميلة .. أعرف ذلك .. أريدها حقا . لكن روعي خجلة تتضرع .. عبثا أهدئ أجنحتها المرتعشة ، خفقاتها الشاحبة تدق بمجرد أن تتجه أنظارها إلي عتبة المغامرة الكبيرة .

لن يصدق أحد !

_____ لن يصدق أحد _____

في شهر سبتمبر تسلمت هذه الرسالة :

" عزيزي " بوتساتي " أما زلت تذكر " برونو بيزيا " ،
زميلك في الفصل ، في المدرسة العليا ؟ أعتقد لا .. بعد مرور
سنوات طويلة . الآن إذن أقدم نفسي إليك لغرض محدد .. فأنا
أراك -بواقع اشتغالك بالصحافة - مهتماً بالشخصيات
والأحداث ، والبيئات الغامضة والغريبة لذلك أنا متأكد من أن
" مورجينهاوس " وهو المكان الذي أعمل به ، في جريجوني ،
يمكنه أن يتيح لك مادة شيقة فريدة .

" ربما سمعت كلاماً عن هذا ، وإن كنا نحاول دائماً أن
نحتفظ بالأمر سراً . القصة تتعلق بنوع من العزلة ، أو هو
مستشفى خاص ، من أجل المرضى بمرض مزمن ، يلقون فيه
عناية خاصة ، كما يعالج أناس آخرون بدون مقابل . رأس
المال يأتي من أمريكا والمكسيك وسويسرا والهدف هو ضمان
نهاية مريحة لأولئك البؤساء . وما هي الطريقة ؟ كنت أريدك

أن تأتي لتتحقق بنفسك ، ربما تجد في ذلك روعة ودهشة. " لن أستطيع أن أقول أكثر من ذلك في الخطاب . إذا قبلت نصيحتي ، فاكتب إلي . وسأكون سعيداً بهذا. يمكنني أن آتي إلي محطة "كلاريس" لاستقبلك ونواصل الرحلة معاً بالسيارة وأنا أنبهك بأمانة بأنك ربما لا تستطيع زيارة "مورجنهاوس" من الداخل ، فحضور الأجانب محرم مطلقاً في الوقت الحالي ، لكن التنظيم الداخلي للبيت ليس فيه ما يثير اهتمامك أخيراً فإن الدافع لهذا الخطاب شئ مذهل . "

كنت أذكر "بيزيا" بشئ من الضبابية ، فهو لم يكن أيام الدراسة متميزاً . أما "مورجنهاوس" فقد سمعت كلاماً عنها كمؤسسة علاجية أسطورية ، في طليعة المؤسسات التي تكافح الأمراض المزمنة . شيئاً فشيئاً بدأت الجرائد والمجلات تتكلم ، ولكن التعليقات دائماً غامضة . كان يقال إنه بطريقة ما يخلو المرض اللعين هناك من أي قسوة ، ويصبح فكرة يمكن تحملها . لكن كيف ؟ هل هي طريقة سرية للموت الهادئ بلا ألم ؟ هل هي معجزة تتحقق

لن يمدق أحد

بالإيحاء الجماعي ؟ أم هي مبادرة دينية ؟
علي أي حال ، المناسبة مشجعة صحفياً . بعد عدة أيام
سأرد علي "بيزيا" بأني مستعد للمجيء إليه .
عندما رأيته علي محطة "كلاريس" ، بدا لي مختلفاً عن
صورته البعيدة في مخيلتي . أصبح رجلاً طويل القامة ، قوي
البنية ، ذات لحية قصيرة رمادية يتخللها الشعر الأحمر ،
تحيط بوجهه الودود ، بدا لي أكثر شباباً مني فوراً رفعت
الكلفة بيننا . بعد أن قطعت السيارة عشرة كيلو مترات تقريباً
علي الطريق إلي "كاميدين" ، أتخذت طريقاً فرعياً ضيقاً ،
لكنه مرصوف جيداً ، انتهى بوادٍ أضيق ، كانت الساعة
الخامسة من أصيل يوم صافٍ .

مع تقدم السيارة ، أصبحت الأكواخ الريفية ، والزراعات ،
ومظاهر الحياة الإنسانية نادرة . عند أحد المنعطفات ظهر
بطن الوادي علي امتداد البصر ، محاطاً بسياج وعمر من
الغابات التي تصل إلي ثلاثة آلاف متر . وبسبب هذا الانحناء
الوعر كانت السيارة تصعد المنحنيات بواسطة معابر من جذوع

شبح الجنوب

الشجر . لم نعد نلتقي بأي مظهر للحياة . عندما وصلنا إلى
أعلى حافة المنحدر ، ظهر مشهد رائع .. الجبال تشكل دائرة
تحتضن غوطة معشبة مشجرة . وعلى قمة التل ، بمعزل عن
الأنظار المتطلعة ، صخرة مقطعة علي شكل صومعة الرهبان ،
يتألق فيها مجلس الملك .

الآن .. من الصعب أن أسجل أي روعة لذلك البناء، ذي
الذوق الحديث .. هو - باختصار - يبلغ أقصى درجات
الخيال وإنعاش الروح ، هو يعبر بقوة عن الصفاء ، والخير
والفخامة ، والسعادة الإنسانية . فوق الأبراج علي أسوار
عاليه ترفرف ببطء رايات جلييلة .

وعلي بعد عشرين مترا من حافة الهضبة ، بوابة بيضاء،
تمتد من جانب المنحنى إلى الجانب الآخر ، مغلقة كل ممر .
وأمام البوابة من الداخل ، في الوسط تماما ، ظهرت فيلا
متناسقة مع المكان صغيرة لكنها أنيقة .

قال "بيزيا" : " هذا نوع من تجسيد الحراسة ، شرطي
ورجل غابة في نفس الوقت . أنت ستنام هنا ، هو أفضل

لن يصدق أحد

بكثير وسأكون لك رفيقا هذه الليلة . ”

قادنا رئيس الخدم إلي داخل الفيلا .. وجدتها شقة مؤثثة
بأثاث فخم ، تبدو وكأنها شقة لأحد المليارديرات .. يتخلل
الصمت موسيقى بطيئة تنبعث من بيانو .. لكن أين هو السر ؟
أين الشئ الغريب ؟ الدافع الذي حدا بالصديق أن يدعوني إلي
هنا ؟؟ بدأ "بيزيا" الشرح ، بينما كانت ظلال المساء تنسدل
علي عزلتنا الفاتنة وخرجنا من الفيلا ، فتح بابا فرعيا في
البوابة الكبيرة . ودخلنا إلي الملكة المحرمة . انفسحت
أمامنا معشبة .. يعلو بعضها بعضا في جمال ممتع ، حتى
تنفتح علي القصر البالغ الفخامة ، علي أبوابه بدا لي أنني
لمحت شبحا إنسانيا يرتدي البياض .. كان يتحرك ببطء .

قال "بيزيا" : " لماذا نخاف الموت ؟ لماذا هو أكثر شئ
رعبا في العالم ؟ الإجابة بسيطة : لأن الذي يموت يذهب ،
بينما يبقى الآخرون . لو أننا صاحبنا المستقبل معنا إلي الحياة
الأخرى ، لهان الموت علينا ، وتصبرنا عنه بسهولة . لو
كانت الكارثة تصيب الجنس البشري كله ، ما تمكن الموت

أن يسبب لنا أكثر من ألم كبير .. الآن تخيل أن إنساناً محكوماً عليه بمرض لا شفاء له ، حملناه إلى المستقبل .. ألف عام أو أكثر .. أحبابه..أصدقائه .. زملائه في العمل كل أولئك الذين يصبون عليه مشاعر الرثاء القاسية ، وهم يرونه يذوي أمامهم، بينما هم ممثلثون صحة وشباباً .. كل أولئك سيصبحون عظاماً ورماداً .. كذلك الأبناء والأحفاد ، وأحفاد الأحفاد .. هل تفهمني ؟ وسط هذه الظروف لن يعود المريض يهتم إلا بالموت . أقول إنه يسمو فوق شعوره المسكين بالإحباط..نعم سيكون ولكن هذا هو الإنسان . "

" وكل هذا شئ موجود بالداخل ؟ "

" براقو ، هذه هي بالتحديد طريقة "مورجنهاوس" .. ضيوفنا .. مرضانا ، يموتون هنا في ارتياح .. هنا يجدون أنفسهم ينتقلون إلى مستقبل بطيء .. الزوجات .. الأزواج .. الأبناء .. الأحفاد لم يعد لهم وجود من زمن سحيق .

هم فقط الذين نَجَوْا هنا ، لذلك ينتظرون الموت بدون قلق . "

كنت أنظر إليه باهتمام ، يبدو أنه يتكلم جاداً

لن يصدق أحد

” وبأي طريقة تنقلونهم إلي المستقبل ؟ بالسحر ؟ أم بالخيال ؟
أم بالإحياء النفسي ؟ أم بالتنويم المغنطيسي ؟ أم أن الأمر كله
مجرد مزحة ؟ ”

واصل "بيزيا" حديثه هادئاً وقال :

” اسمع .. إذا كان الزمن وحدة كلية متلاحمة ، فإن أنواعاً
من الثغرات توجد به هنا وهناك ، أنواعاً من الثقوب .. حقاً
هو شئ عسير علي الفهم ، ربما يحتاج إلي عالم فزيائي
ليشرحه لك ، وربما هو أيضاً لا يفهم ، كما أنني لا أفهم
بدقة ماذا يحدث .

حسناً .. واحد من تلك الحلول النادرة يحدث هنا ، حيث
نقيم ، في هذا الركن المختفي في جبال الألب .. يوجد فوقنا ما
يشبه الثقب الذي يسمح لنا بالاتصال بالمستقبل . ”
” أي مستقبل ؟ ”

” ذلك الذي سيحدث خلال مئات ومئات السنين . لم
نستطع معرفة الفترة بدقة.. في هذا الوادي يتحطم البعد
الزمني ، فيومنا يتواصل مع يوم البشرية في سنة 2500 ،

شبح الجنوب

أو 3000 ، من يدري ؟ ”

كان واضحاً أن المتكلم مجنون .. حاولت بصبر أن أوافقه ،

فقلت :

” ولكن . ألا يصل إلي مرضاكم أخبار عن البيت ، ألا يقرأون

الجرائد ، ألا يشاهدون التلفزيون ؟ كيف يمكنهم أن

يخدعوا؟ ”

نعم هي عزلة كاملة ، وهم لا يندهشون منها ، ولماذا

يندهشون ماداموا مقتنعين بأنهم يعيشون الألف الثانية أو

الثالثة ؟ ”

لكن .. كيف تقنعونهم ؟ ماذا تقول أنت في هذا التخطيط

الزمني ؟ كيف يحدث ؟ ”

آه ، جميل إنهم هم الذين يقتنعون بأنفسهم ، فقط

يحتفظون بأعينهم مفتوحة إزاء ما رأوه ، وما يرونه

باستمرار كل يوم .

” هل هي أطباق طائفة تأتي علي مرات ؟ ”

غادرت أشعة الشمس الأخيرة القمم المحيطة بنا ،

لن يصدق أحد

وسرعان ما هبط الظل .. علي بعد نصف كيلو متر تقريباً

أضاءت حجرات القصر الزجاجية بأضواء حاملة .. ارتفع صوت

"بيزيا" قائلاً في نبرات مهيبة :

" تأتي ليلاً في الغالب ، وفي بعض الأحيان النادرة تأتي

نهاراً ، نحن نراهم يمرون من "مورجنهاوس" .. "

" مَنْ ؟ "

" الأجيال الماضية ، لا ؟ أي شئ إلا الأطباق الطائرة . أنت

أيضاً ستشاهدهم . "

لا فائدة من الاستمرار في المناقشة معه .. كان واضحاً أنها

حالة ظاهرة من الجنون الكامل - وفهمت - في النهاية ، أن

"مورجنهاوس" لم تكن إلا مؤسسة علاجية فخمة للأمراض

العقلية ، وأن "بيزيا" المسكين كان واحداً من هؤلاء ، وبما

أنهم لا يؤذون مخلوقاً ، فإن الأطباء يتركونهم يخرجون في

بعض الأحيان . كنت أشعر بالضيق ، فقلت له : " اسمع ،

أشعر بالبرد ، كنت أريد أن أعود إلي الداخل ، وأنت

لا داعي للمجاملة ، إذا كان لديك ما يستوجب عودتك إلي

شبح الجنوب

المستشفى . ”

” لا ، لا . سأصحبك ، ربما احتجنا إلي شئ آخر ،
سنتناول العشاء معاً .. أنا قمت بترتيباتي ، ولا يوجد عندي
عمل الليلة . ”

كانت بقية تلك الليلة مؤلة ، حيث مضت في أحاديث
طويلة غريبة ومملة عن الزمن واللازم ، والتي كان يجب أن
أردَ عليها : ” بنعم ، نعم ، ياله من كشف رائع ! سأجعل منه
المانشت الرئيسي .. ” حتى تعالت بالنوم في حوالي العاشرة و
النصف ، فتركني وتنفست الصعداء ، وأغلقت الحجرة عليّ.
الآن لا بد أن أبحث عن مساعدة من أجل العودة .

كان الويسكي والثلج معداً علي المائدة . شربت منه كأسين.
ثم خرجت ونزلت ، لأبحث عن أحد عساه يدلني علي آلة
المستقبل .

السلم والردهات كلها مضاءة ، لكنني لم أقابل إنساناً .
ناديت فلم يرد أحد . كنت أفتح الأبواب – لعلني أجد
بالخارج خادماً أو حارساً – عندما بدأ أنين جرس عميق

لن يصدق أحد

يرتجف في الفضاء .. رنين غريب ، كدحرجة كئيبة تصدر من
أصداء أصوات غامضة في الكهوف ، تري من أين تأتي ؟
خرجت .. الأنوار في الخارج مطفأة ، أيضاً نوافذ
"مورجنهاوس" أسفل مني كلها ظلام . تنتشر في السماء
الصافية بين حين وآخر سحابة رقيقة من الضباب ، كما
العادة في الجبال .

لكن .. عندما رفعت عيني إلي السماء أصيب قلبي بصدمة .
فهناك من خلال غلالة رقيقة من الضباب لم تكن تخفي كل
النجوم ، رأيتها تخرج أمامي من سلسلة الجبال الداهمة من
اليمين .. طائرات ثلاث .. لا بد أن حجمها الضخم هو الذي
يجعلها تمر ببطء شديد . كان لونها رمادياً ، دون أي نوع من
الأضواء ، سوى ما يبعث من جسدها كله من ضوء خافت .
هدأت نفسي .. أي غبي أنا ! ثلاث طائرات عادية . ماذا
يعني أن تكون طويلة هكذا ، وأجنحتها صغيرة نسبياً ؟
إنها من طراز 95 حديث اخترعت لتوائم التطور .

صنعت شكل مثلث ، وأخترقت السماء فوق بصري ، ثم

اختفت خلف الجبال المقابلة .

لكن.. ماذا يحدث الآن ؟ كان يحدث أمامي في السماء خرق
للمعلومات الهندسية .. سفن شراعية مستطيلة الشكل بغير
زوايا ، تشبه شاحنة عملاقة .. رمادية اللون وفسفورية.هي
أيضاً كانت تعطي شعوراً بمعدل ارتفاع يفوق الطاقة البشرية ،
وبأنها تعمل بكفاءة عالية . عند وقت معين امتلأت قبة
السماء كلها بهذه الأشياء . كانت تسير ببطء ظاهر ،
وبصعوبة وغموض .

حينما اختفت آخر مركبة خلف المرتفعات ، وعادت
السماء خالية كان عددها قد بلغ خمسمائة علي الأقل .

لا .. لم ينتهِ الأمر بعد . الآن أري قطارين لا نهاية
لطولهما معلقين في السماء ، بعربات معوجة ، غير متساوية
الأتساع .. أشياء مفزعة تثقل علي الحقائق الهندسية هنا
وهناك .. اختفي رأسيهما خلف الجبال القريبة ، وظهر ما
يشبه القوسين الخياليين أطرافهما غير منتظمة الشكل ،
تحلق علي ارتفاع مائة ميل أعلي الوادي . كانت هوة المستقبل

لن يمدق أحد

مفتوحة علي مصراعيها أمام عيني ، ويكاد مظهرها ينطق
بحقيقة أمرها .. ترى ماذا يكونون ؟ أهـي هجرة أحد
الشعوب ؟ أم نفي ؟ أم جيش ذاهب إلي الحرب ؟ قدر كئيب
كان يسحب ذلك القطيع من الوحوش البليدة التي لا يمكن أن
تنتصر .

كان الأمر يحتاج إلي ربع ساعة علي الأقل لكي ينتهي
زحف القطارين المرعبين . لقد كان مشهداً يوحـي بالتهديد
والخيال .. يوحـي بأي شئ إلا المهابة ، ولا أدري لذلك سبباً
، كما لو كانت الشوذة الغربية التي تحمل الرعب سلاحف
وخراتيت من العالم الأسود ، يختلف اختلافاً مروعاً عن كل
ما تخيلناه من سعادة في آلاف الأعوام القادمة . فها هي ذي
رمادية .. جافة .. لا إنسانية .. قاتلة .. مريضة .. مشنومة .
ترى هل كان حلماً ؟ أم كان حقيقة ؟ أبداً لن أستطيع أن
أحكيه .. أبداً لن أستطيع أن أكتب ..

فلن يصدقني أحد !!

المؤلف

- ديميو بوتزاتى
- ولد عام 1906 بشمال إيطاليا فى مدينة ميلانو
- عمل بالصحافة فترة طويلة
- عاصر الحريين العالميتين وكان مبعوثاً خاصاً إلى بعض الدول فى أوروبا
- وإفريقيا واسيا وأمريكا ، ومراسلاً صحفياً لجريدة **corriere**
- **DeccAfera**
- عشق السفر وبخاصة إلى إفريقيا التى كتب عنها بعض القصص
- يتمتع بأسلوب يضعه فى مصاف الكتاب العالمين الكبار
- له العديد من المؤلفات فى القصة القصيرة والرواية والمسرحية
- من أعماله: رعب فى مسرح سكالو، مقتل التنين، صحراء التتار، شبح الجنوب، توفى عام 1972

المترجم

- د. نجوى عمر كامل حسين
- مدرس بقسم اللغة العربية - كلية الألسن - جامعة عين شمس
- ولدت عام 1964
- تترجم عن الإيطالية ولها عدة أبحاث نشرت فى صحيفة الألسن ومجلة دار العلوم فى الدراسة الأدبية المقارنة، كما أنها تكتب الشعر ولها عدة نواوين .

الفهرس

صفحة	
7..	الصخرة
21..	البيع
33.	حوادث الطرق
47.	الملك فى هورم الحجر
69.	السمعة الطيبة
81..	شبح الجنوب
95	لن يصدق أحد.
110.	المؤلف..
111	الفهرس .

